

لا...

لتطوير الخطاب الديني

الدكتور محمد شامة

لا...

لتطوير الخطاب الديني

مكتبة وهب

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠

فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

مكتبة وهبة

للنشر والتوزيع

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

ت: ٣٩١٧٤٧٠

ف: ٣٩٠٣٧٤٦

اسم الكتاب

لا ... لتطوير الخطاب الديني

اسم المؤلف

أ. د. محمد شامة

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٥ / ٢٦٧٦

الترقيم الدولي

I.S.B.N. 977-17-2001-5

الطبعة الأولى

٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ

تحذير هام

يحذر نقل أو اقتباس أي جزء من
هذا الكتاب إلا بعد الرجوع إلى
الناشر والحصول على ترخيص
خاص.

حقوق الطبع محفوظة

••••

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كشفت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ عما يكنه الضمير الغربي للإسلام والمسلمين ؛ إذ أظهرت تصريحات السياسيين عما كانوا يخفونه وراء الكلمات الدبلوماسية من عداوة وتربص بالمسلمين ، فيها هو ذا الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش يعلنها حربا صليبية عندما خانه التحفظ الدبلوماسي ، ورئيس وزراء إيطاليا بيرلسكوني يستخف بالحضارة الإسلامية ، معربا عن موقف الغرب غير المعلن من الإسلام والمسلمين ، وشنت " مارجریت تاتشر " - في مقال لها بصحيفة : " الجارديان " في ١٢ فبراير ٢٠٠٢م - هجوما عنيفا على الإسلام دون موارد ، وقارنته بالشيوعية ، ووصفت المسلمين بأنهم بلاشقة ، كما أعلنت وسائل الإعلام بجميع أنواعها حملة شعواء ضد كل ما هو إسلامي ، حتى وصل بها الأمر إلى دفع جهات رسمية غربية على مطالبة الدول الإسلامية بتغيير وتعديل المناهج الدينية في المدارس والجامعات بما يتوافق مع التوجهات الغربية . وقد ذكر الأستاذ فهمي هويدى في مقال له في الأهرام بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٩ أن الغرب يطالب الدول الإسلامية بأمرين :

أولهما:مراجعة مناهج التعليم الديني و" تنقيتها " مما يتصورون أنه يؤثر بالسلب على علاقة المسلمين بغيرهم، أو يخرضهم ضد إسرائيل، أو يستحثهم على الجهاد.

أما ثانيهما : فهو تأميم كل المدارس الدينية والمساجد التي رعاها المجتمع منذ قرون، بحيث يتم إخضاعها للإشراف الحكومي، وهي المطالب التي بدأ تنفيذها - للأسف الشديد - علنا في اليمن وباكستان ، ودون إعلان في دول أخرى. كما رفضتها دول أخرى، مثل : السعودية ومصر ، لكن الجميع - تقريبا - تجاوب مع هذه النعمة بشكل آخر ، ألا وهي ما أُطلق عليه : " تطوير الخطاب الديني " ، رأينا ندوات تعقد هنا وهناك ، ومؤتمرات يدعى لها كبار المتخصصين لاستطلاع آرائهم حول بلورة الخطاب الديني ، ليتماشى مع الموجه العالمية التي تقودها قوة عظمى ، لا تحمل ودا للإسلام، وليس لها هدف سوى إخضاع المسلمين لسيطرتها، كي تستغل مواردهم، وتتحكم في وسائل تنشئة شبابهم ثقافيا وسلوكيا .

لم يكن الدافع لعقد هذه للمؤتمرات والنسوات تصحيح الخطاب الديني للتهوض به، حتى يكون قادرا على معالجة الانحرافات في المجتمعات الإسلامية ، أو ليكون الداعية مؤهلا لمخاطبة الآخرين بأسلوب مفهوم يريل ما علق في أذهانهم من تصورات مغلوطة عن الإسلام ، إنما كان الدافع هو تعديل أسلوب الدعوة على نحو يحد من تطرف بعض الشباب حتى لا يزعجوا السادة الغربيين، ويمنع جنوح بعض المسلمين إلى الاعتداء على ممتلكات المستعمرين وقواتهم العسكرية الرابضة في ديار المسلمين بما يضمن الأمن والاستقرار لهذه القوات الأجنبية في بلاد المسلمين. فالأمر لا يعدو توجيه غير مباشر من الخارج لتغيير أسلوب الدعوة،

فتحاوب الفكر الإسلامى مع هذه النعمة الواردة، وبدأ يعزف على الوتر الذى أعده له الغرب دون وعى ولا إدراك ، وإن حملت بعض أوراق هذه المؤتمرات والندوات نقاطا مهمة، كان يجب على المسلمين طرحها ومناقشتها قبل هذا التوجه الخارجى بزمن طويل .

ومما لا شك فيه أن بعض الأفكار التى طرحت فى هذه الندوات والمؤتمرات كان إيجابيا ، وكان من الضرورى أن تطرح للمناقشة قبل ذلك بزمن طويل للرقى بأساليب الدعوة إلى الله ، مثل : فقه الأولويات ، والعلاقة مع الآخر ، والترغيب والتيسير ، والعناية بمناهج إعداد الدعاة وغيرها من الأمور التى كان يجب على المهتمين بالدعوة مناقشتها لتصحيح الخطاب الدينى بدافع الحرص على نشر الإسلام، وليس تجاوبا مع اتجاه سياسى يغى مصلحة ما، ولا امتثالا لتوجيه من قوى دليية لترويض المسلمين، وتمييع ثقافتهم الدينية، وإضعاف ما يربطهم بدينهم من تعاليم وواجبات دينية .

ما زال صدى أحداث الحادى عشر من سبتمبر تدوى فى جميع أركان الكرة الأرضية ، وخاصة فى العالم الإسلامى ، ولم يقتصر هذا الدوى على ما يرتكبه جيش الولايات المتحدة الأمريكية - وحلفائها - من اجتياحه لأقطار إسلامية بدباباته وطائراته وقنابله، وما يحدثه كل يوم، صباح مساء، من ضحايا فى الممتلكات والأرواح، بل تجاوز صدى هذه الأحداث كل الحواجز التى أرسنها القوانين الدولية ، وأقامتها كل القيم الإنسانية والتعاليم

الدينية؛ فطالب القطب الأوحيد بتغيير مناهج التعليم في البلاد الإسلامية، بحجة أنها تُخرِّج متطرفين وإرهابيين . ولذا يجب تنقية هذه المناهج من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تحث على الجهاد، وترى في النشء غريزة الدفاع عن الدين والوطن .

تجاوبت أصداء هذه الدعوة في لعالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه ، ومن شماله إلى جنوبه ، بعضها مرحباً ، والآخر مستكراً ، لكن نسبة كبيرة من العلماء والمفكرين دعت إلى بحث المسألة بحثاً علمياً، فعقدت المؤتمرات والندوات، بحيث غطت أحداثها جميع مناطق العالم الإسلامي، من مراکش غرباً إلى إندونيسيا شرقاً ، ومن الأناضول شمالاً إلى أطراف القارة الإفريقية جنوباً. ومن أبرز القضايا التي طُرِحَت في هذه التجمعات قضية " تطوير الخطاب الديني " ، أُلقيت فيها بحوث ، وسُطِّرت حولها مقالات ، ونوقشت جوانبها في لقاءات إعلامية ، وكان الاتجاه الغالب عليها هو : " ضرورة تطوير الخطاب الديني " . فما مدى صحة هذا الاتجاه؟ وهل يحتاج الخطاب الديني إلى تطوير؟

وللإجابة عن هذين السؤالين نعرض هذا البحث على القارئ، لعل وعسى أن يكون فيه تحديد مسار خطابنا الديني .
والله أسأل أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الدين والدنيا .
إنه سميع مجيب .

محمد عبدالغنى شامة

دعوى محاصرة الإرهاب

تعرض العالم العربي والإسلامي بعد الحادي عشر من سبتمبر لضربات موجعة ، أصابته في القلب ، فشلت حركته ، وأفقده توازنه ، فضاعت منه معالم الطريق للدفاع عن نفسه ، أو تخفيف ما يوجه إليه من لطمات، وتصحيح ما يرمى به من اتهامات، ذلك أن الموجة عالية، والرياح شديدة، فضلاً عن أنها صادفت مجتمعات وهنت عزيمتها، وخارت قواها من جراء ما فعل بها أبناؤها من ارتكاب حماقات لا لزوم لها، واعتناق مبادئ لا يعرفها الإسلام ، بل تنكرها النصوص المقدسة ، ويشجبها العلماء الراسخون في العلم .

اتخذ الغرب تلك الخرافات سبباً ووسيلة للنيل من الإسلام والمسلمين ، فشن حرباً شعواء ضد العالم الإسلامي ، بدأت بأفغانستان ، ثم أردفتها بالعراق ، ولا ندرى على من يأتي الدور بعد ذلك . ولم يكتف بهذه المحجمة المسلحة ، بل صاحبها دعوات وإملاءات للعالم الإسلامي ، بل أوامر - مدعومة بالتلويح بالدبابات والطائرات - بتنفيذ إصلاحات في جميع المجالات الحياتية: سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية إلخ . تَطْلُبُ القوة العظمى الوحيدة في العالم من حكومات العالم الإسلامي أن تطبق النظام الديمقراطي الغربي ، بما فيه من حرية الكلمة، وحقوق الإنسان، والنهوض بالمرأة، وخصخصة الاقتصاد، واعتماد وتقوية

حرية التجارة والصناعة وتوابعهما، حتى أنهم يحاولون حملنا على مباركة الحرية الجنسية ، بما فيها من نظام زواج المثليين .

ويرون أن تنفيذ هذه المطالب يساعد على محاصرة الإرهاب ومكافحته . نرى ذلك كله ونسمعه ونقرأه في المنتج الثقافي الغربي؛ إذ لا تفتأ وسائل الإعلام من نشر المقالات والتحقيقات والمنابلات المرئية والمسموعة والمقروءة التي تصب في هذا الإطار .. حتى أصبحت قضية الإصلاح والتغيير في اعالم الإسلامى تكاد تكون هى الموضوع الرئيس فى الساحة الثقافية والفكرية . وليت الامر وقف عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى المطالبة بتغيير هويتنا وكياننا الثقافى والدينى ، وذلك بالإيجاء - أو بالأمر غير المباشر - بتغيير مناهج التعليم فى مدارسنا وجامعاتنا ، معللين ذلك بأن المنهج الحالى يربى النشء على التعصب ورفض الغير ، بل يدعو إلى لتطرف والإرهاب. ومما يؤسف له أن بعض المثقفين والمفكرين فى لعالم الإسلامى تجاوبوا مع هذه النغمة ، فانضموا إلى المطالبين بتغيير المناهج الدينية، والبعض الآخر غلف توجهه الفكرى بغلاف رقيق، كى يبدو مستقلا عن هذه الدعوة ، ويوحى بأن ما يطالب به هو رغبة ذاتية فى التطوير ومسيرة العصر . ومن ذلك ما شاع فى الأوساط الثقافية بما يسمى " تطوير الخطاب الدينى " ، إذ من يرفع هذا الشعار يحاول أن يدفع عن نفسه تهمة مسايرة الاتجاه الغربى ، لىبدو مدافعاً عن الإسلام ، ومدعياً أنه - من واقع الحرص

على تقوية الدعوة الإسلامية حتى تسائر العصر - ينادى بتطوير هذا الخطاب .

لا أدري !!

ما المقصود بالتطوير ؟

أهو تغيير المبادئ التي يدعو إليها الدعاة ويعلمونها للناس؟
أم البعد عن الآيات والأحاديث التي تحت المسلمين على الدفاع عن دينهم وهويتهم ؟

أم تناسى الآيات والأحاديث التي تتحدث عن مواقف غير المسلمين من الإسلام ومواجهة المسلمين لهذه المواقف ؟

أم الاعتراف بصحة الأديان الأخرى ومساواتها بالإسلام بما يوهم الإنسان بأن كلاً على حق ، فلا فرق أن يعتنق الإسلام أم غيره ، فالكل سواء ؟

هل يقتضى التطوير تغيير مناهج الدعوة التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) وما هو النهج المقترح ؟

أم أن التطوير ينصب على الأسلوب واختيار المادة التي تعرض، وذلك بالبعد عن الحرافات والأساطير، وتجنب كل ما يدعو إلى العنف والإرهاب ، وتفادى كل ما من شأنه غرس اللامبالاة ، والكسل ، والسلبية في مجال الإنجازات الحضارية ، والتأكيد على دعوة الإسلام إلى العمل والإتقان، وحث المسلمين على إعمار الأرض لبناء الحضارة ، وتحقيق التقدم في

جميع المجالات : زراعية ، وصناعية ، وتجارية ، وفنية ، وإبداعية
...و...و....إلخ كما فعل المسلمون في عصر صدر الإسلام ؟
كان من الأولى منهجياً أن أجيب أولاً عن السؤال الأول ،
ألا وهو : ما المقصود من التطوير ؟ ، ولكن طبيعة عرض
لموضوع ، والهدف منه يحتم على أن تكون الإجابة عن هذا
السؤال في الختام ، وسوف يتبين القارئ هدف هذا التأخير .



تغيير المبادئ

هل يُقصد من التطوير تغيير المبادئ التي يدعو إليها الدعاة
ويعلمونها للناس؟

هذا هو ماترمى إليه اقوة الكونية الوحيدة — والتي نصبت
نفسها حامية الحمى — في اعالم ، لأنها ترى أن مبادئ الإسلام
تغرس في نفوس المسلمين كراهية الآخر، وتدفعهم إلى عدم قبوله،
ومحاولة تدميره. ولم يقف الأمر عند الرغبة في هذا التغيير، بل
وصل إلى أسلوب الإملاء مشفوعاً بالتهديد بالسلاح. وقد اتخذ
الغرب خطوات عملية لتنفيذ ذلك فوزعوا الأدوار عليهم، حيث
اتفقوا في اجتماع مجموعة الثمانية على أن تقوم كل دولة بتنفيذ
ما يطلب منها تغييره في القطر الذي عينته المجموعة لها من الأقطار
الإسلامية والعربية .

وهذا يذكرنا بما حدث في معاهدة سايكس بيكو في القرن
الماضى، حيث قسمت تركة الخلافة الإسلامية على الدول الأوروبية
التي انتصرت في الحرب العالمية الأولى. لم يحرك أحد من العالم
الإسلامى ساكناً إزاء هذا التوزيع في القرن الحادى والعشرين،
بل ساد الصمت والكتمان على هذه الأخبار ربوع أقطارنا؛ إذ لم
نسمع صوتاً واحداً يعلق على هذا الاتفاق، بل لم يجرؤ أحد على

نشره في أى وسيلة من وسائلنا الإعلامية^(١) الغارقة في نشر وإذاعة ما يساعد على تدمير شبابنا ، بدل أن يبينوا لهم ما ينسج حولهم من شباك، وما يرسم لهم من خرائط ثقافية تقضى على هويتهم، وتمحو كياناتهم ، وتطمس معالم دينهم .

يجب على المسلمين أن يتمسكوا بمبادئهم ، فيحفظوا دينهم ، ويحموا هويتهم من التآكل والتحلل وسط التيارات المتدفقة من الغرب، حتى وإن أدى ذلك إلى بذل كل ما لديهم من قوة ، واستخدام كل ما تحت أيديهم من أسلحة: سياسية واقتصادية وتجارية ..و...و... إلخ ، فإن اقتضى الأمر في آخر المطاف إلى حشد الجيوش فلا يتراجعوا... وإلا ذابت هويتهم ، واندثرت عقيدتهم ، وضاعت ثرواتهم ، فلا يملكون إلا الركوع أمام أعدائهم ، يلتقطون ما يرمونه تحت أقدامهم من فتات، ويفتشون في صناديق نفاياتهم عن بقايا طعام يسدون به رمقهم ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : " يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها " قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله ! قال : " لا ! ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن " قلنا وما الوهن يارسول الله ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت ."^(٢)

(١) كشف النقاب عنه شخصية إعلامية كبيرة في معرض حديثه في إحدى الفضائيات العربية .

(٢) انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ٨٦٩٨ ، ٢٢٤٥٠ و مصنف ابن أبي شيبة ٣٣٧٤٧ و مسند الشاميين ٦٠٠ و مسند الطيالسي ٩٩٧ و المعجم الكبير ١٤٥٢ .

دب الضعف في قلوبنا ، فارتعدت فرائصنا مما فعلته القوة
العظمى الوحيدة في العالم، وخارت قوانا من فرط الهلع الذي
أصابنا ، عندما رأينا ما حدث لإخواننا في أفغانستان والعراق، فلم
نحرك ساكناً ، ولم نبذ بينت شفة اعتراضاً - مجرد اعتراض - على
هذا الاعتداء ، ووقفنا مدعورين مما سيحل بنا عندما يجيء دورنا ،
فشئت إرادتنا ، وتعطلت حواسنا ، فأصبحنا جثة هامدة، خرجت
من الحياة ، وودعت الوجود ، وتنتظر من يوارىها التراب.



البعد عن نصوص مقدسة

هل يقصدون من التطوير البعد عن الآيات والأحاديث التي تحت المسلمين على الدفاع عن دينهم؟

ليس هناك تشريع ديني ، أو قانون مدني ، يحرم على المرء أن يدافع عن نفسه، ويحمي هويته، ويحافظ على ممتلكاته، فالتشريعات الدينية تحت مُتدينين على مقاومة من يعتدى عليهم، وتطلب منهم بذل النفس والمال في سبيل الدفاع عن حرمانه، سواء كانت نفساً، أو مالا، أو أوطاناً. ولما كانت عقيدة المرء هي أساس هويته، وصلب كيانه ووجوده ، فمن الطبيعي أن يقاتل دونها حتى الموت ؛ إذ لا معنى لوجوده بدون هوية ، ولا فائدة لحياته من غير عقيدة يستظل بظنها ، ويشعر بالارتياح والطمأنينة في رحابها . كذلك يعطى القانون الدولي ، والمعاهدات الأُممية لكل من يُعتدى عليه الحق في الدفاع عن نفسه ودينه ووطنه بكل ما يملك . فإذا طلبت القوة الدولية " الوحيدة " في العالم من المسلمين أن يهملوا الآيات والأحاديث التي تحثهم على الدفاع عن دينهم وأوطانهم ، فإنما تطلب المستحيل دينياً وقانونياً ، ومن يجب طلبها هذا ، فهو خائن لوطنه ، متنكر لدينه ، غافل عن أبسط قواعد الحياة الإنسانية ؛ لأن تعليم النشء الدفاع عن الوطن هو حماية للنظام الكوني ، وتأمين للحياة الاجتماعية ، وأمن وأمان لحياة الأمم والشعوب، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴿ (البقرة : ٢٥١). ويقول :
 ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَادَمَتِ سَوَاعِدُ وَبِيعَ
 وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج : ٤٠).
 أى لولا أن كل إنسان يدافع عما يملك ويحمى ما عنده لخربها
 المنفسدون فى الأرض .

وعليه ، فلا يمكن من الناحية الواقعية حذف الآيات القرآنية
 والأحاديث النبوية التى تحت على الدفاع عن النفس والدين
 والوطن من المناهج الدراسية ، وإنما المطلوب أن نبين للنشء أن
 الآيات والأحاديث لا تحت على القتال، لمجرد القتال ، أو للاعتداء
 على المسلمين ، وإنما تغرس فيهم الاستعداد لبذل النفس ضد من
 يعتدى عليهم ، يقول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
 عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة : ١٩٤). ويقول : ﴿ وَإِنْ
 جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَنِحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (الأنفال : ٦١) ،
 ويقول : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ
 يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المتحنة : ٨) ، فالتربية الإسلامية تُركّز على تكوين
 المسلم تكويناً سليماً ، بحيث يحترم القانون الدولى ، ويميل إلى
 السلم ، ويتعاون مع الشعوب على إقرار العدل والسلم فى ربوع
 الكرة الأرضية ، فإن لم يروا من الآخر إلا شهوة الاعتداء على
 أوطانهم ، بالطائرات والدبابات ، فيجب عليهم أن يدافعوا عن
 أوطانهم ، وذلك منهج يقبله كل عاقل ، وتقره الشرائع الدولية .



اعتراف المسلمين بصحة الأديان الأخرى

هل يقصدون من التطوير اعتراف المسلم بصحة الأديان الأخرى ومساواتها بالإسلام، بما يوهم المسلم بأن كلاً على حق، فلا فرق أن يعتنق الإسلام أم غيره ، فالكل سواء ؟

هذا فرض مخالف للمنطق، ويتصادم مع الواقع التاريخي ، ويناقى مفهوم العقيدة ؛ ذلك أن المنطق - وخاصة في مجال الأديان - يأبى تعدد الحق ، فالؤمن بدين - أياً كان هذا الدين ، سماوياً أو بشرياً - يرى أن ما يدعو إليه دينه هو حق مطلق " Absolute Wahrheit " ، لا يشاركه دين آخر في هذا ، وإلا تعددت المطلقات ، وهو ما ينكره العقل ، فلا يمكن - من الناحية المنطقية - لإنسان أن يؤمن بأن كل الأديان صحيحة ، ثم يختار أحدها - دون مبرر لهذا الاختيار - فيعتنقه ويرفض ما عداه، وإلا جاز له أن يؤمن بهذا اليوم ثم يكفر به غداً ويتقل إلى آخر .

فذلك عبث لا يقره من كان عنده ذرة من تفكير ، أو كان لديه مسحة من التمييز بين أقل الأشياء شأناً في الحياة الإنسانية .

كذلك لم يحدث في التاريخ أن جماعة اعتنقت مبدأ ما ، أو ديناً ما ، وهي تؤمن أن الحق الذي آمنت به - وخاصة في مجال الأديان - لا ينفرد بالصواب ، بل يشاركه في ذلك أديان أخرى، فالكل صحيح ، فليس هناك دين باطل ، لأنها كلها تتساوى

في وحدة المصدر ، وصحة المبادئ ، وسلامة الاعتقاد ، لأن ذلك هراء ، وانحراف فكري . يقرب من حافة الجنون .

فيجب على المسلم أن يؤمن إيماناً راسخاً بأن الإسلام هو دين الله الحق ، وأن ماعداً نتاج بشرى ، انحراف في معظم مبادئه عن الطريق المستقيم ، فأصبح لا يلي حاجات الإنسان ، ولا يضبط مسيرة الحياة في المجتمعات الإنسانية ، أو دين سماوى ، ضاعت منه معالم الألوهية من جراء ما أدخله الكهان من تعديلات وإضافات ، فهو دين اختلط فيه الوحي بالآراء البشرية التي وصلت إلى مرتبة القدسية ، فصُبغت صبغة إلهية .

وكذلك يرفض المسلمون التطوير إذا كان المقصود منه اعترافهم بصحة الأديان الأخرى ومساواتها بالإسلام. وليس معنى ذلك أن المسلم مطالب - دينياً - أن يعلن القطيعة مع غير المسلمين ، أو يشن عليهم حرباً فكرية ، فيسب دينهم ، أو يستهزئ بعقيدتهم ، أو يلعنهم ، فذلك ضد تعاليم الإسلام ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٨) ، فلا استهزاء بالعقائد الأخرى ، ولا سباب ولا شتائم للمؤمنين بها ، بل إن القرآن الكريم بين للمسلمين أن يعترفوا بهذه العقائد كدين له من يعتقد ، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ • لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ • وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ • وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ • وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ • لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ١-٦) ، فالعقائد الأخرى - مهما كانت درجاتها من الصحة ، وعلى أى وضع كانت علاقتها بالوحي السماوى - هي

في نظر الإسلام أديان ، يجب معاملة معتقيها معاملة إنسانية ،
 فاحترام إنسانيتهم واجب . مرت جنازة على رسول الله ﷺ ،
 فقام إجلالاً لها ، فقال له بعض أصحابه : إنه يهودى ، فقال له
 رسول الله ﷺ : " أليست نفساً إنسانية " ^(١) ، وحقوقهم في
 حياة مكفولة ، والتعامل معهم جائز ، والحوار معهم مطلوب ،
 وتبادل الخبرات بيننا وبينهم مبدأ إسلامي ، يقول رسول الله ﷺ :
 " الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أحق بها " ^(٢)



(١) قارن! صحيح مسلم جـ ٢ ص ٦٦٠ ، ومسنند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٣
 ص ٣٢٤

(٢) قارن! سنن الترمذى جـ ٥ ص ٥١ ، وسنن ابن ماجه جـ ٢ ص ١٣٩٥ ،
 ومصنف ابن أبى شهبه جـ ٧ ص ٢٤٠ ، ومسنند الشهاب جـ ١ ص ١١٨ .

تغيير مناهج الدعوة

هل يقتضى التطوير تغيير مناهج الدعوة التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) الإسلام دين عالمى ، نزل لكل البشرية على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وعلى تباين أعراقهم وأجناسهم ، وعلى تباعد أقطارهم وأوطانهم ، ومن مقتضى عالميته أن يرسم منهجاً للدعوة، يخاطب جميع البشرية، مراعيًا فى ذلك: اختلاف الثقافات، وتعدد الأفكار والمفاهيم، وتباين درجات الرقى والتقدم، وتباين الأزمان والعصور. ولا يمكن لأى بشر، مهما بلغ من الذكاء والعبقرية، ومهما حصل من أنواع الثقافات المختلفة ، أن يضع منهجاً للدعوة ، بحيث يؤثر فى كل الناس، على اختلاف مستواهم الثقافى والحضارى، ولا يستطيع أن يرسم أسلوباً للدعوة، يصلح لكل زمان ومكان، بحيث يجد آذاناً صاغية من محدودى الثقافة فى كل عصر، ويقنع العلماء والمفكرين، مهما اختلفت مذاهبهم الفكرية ، وتعددت رؤاهم الثقافية على امتداد التاريخ .

لكن العلى القدير، المبدع لهذا الكون، وخالق النفس الإنسانية، الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، العليم بكنه النفس ، وخلجات القلب فى كل زمان ومكان ، هو القادر وحده

على أن يضع منهجاً للدعوة ، صالحاً لمخاطبة من يعيش في الصحارى والقفار ، ولا يعرف من الكون إلا ما يحيط به من حيوان ونبات وأحجار ، كما هو صالح لإقناع من بلغوا في الحضارة شأواً ، مكنهم من السيطرة على الأخضر واليابس على الكرة الأرضية ، بل وصلوا من العلم درجة حملتهم إلى بعض الكواكب السيارة ، منهج الله في الدعوة - المحكم ، الشامل ، الذى يستوعب كل ألوان الخطاب ، لكل أنواع البشر - رسمته آية واحدة من آيات القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ثلاث طرق في الخطاب تصح لمخاطبة كل القطاعات في المجتمع الإنسانى، بدأها الله سبحانه وتعالى بأسلوب الخطاب العقلى ، وهو المراد بقوله تعالى : " بالحكمة " ، فالحكمة هى العقل ، وقدرات العقل متفاوتة ، تمتد من البدائى الذى لا يعرف إلا المحسوسات ، حتى أرقى درجاته ، وهم الفلاسفة والمفكرون ، وأرباب الإبداع فى جميع المجالات . فعلى الداعية أن يراعى من يخاطبه ، فإذا كان قليلى الثقافة خاطبه بما يفهم ، كى يقنعه بمبادئ الإسلام ، وإن كان من متوسطى الثقافة ارتقى بأسلوبه فى الدعوة إلى المستوى الذى يناسبه . أما إذا كان من المفكرين ، فعليه أن يدعوه إلى الإسلام بخطاب يناسب مستواه الفكرى ، ويتفق مع تخصصه العلمى ، فالمستوى الثقافى للمدعويين هو الذى يحتم على الداعية أن يسلك الطريق المناسب ، ويلتزم بالأسلوب الذى يفهمه المستمعون ، فإذا كانوا على درجة عالية من الثقافة ، فيلزمه أن

يرقى بأدلة العقلية إلى مستواهم حتى يكون لكلامه أثر في نفوسهم، وتصادف أدلته قبولاً في عقولهم . وإن كانوا متوسطي الثقافة فعليه أن يخاطبهم بما يفهمون ، ويدعوهم بالأسلوب المناسب لمداركهم الثقافية ، وفي القرآن الكريم صور متعددة لهذا المنهج ، فقد أمر الله تعالى النظر في الكائنات ، والتأمل فيما فيها من دقائق الصنع ، وبدائع الإحكام والإتقان ، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الروم : ٢٢) . وقال: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ • خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ • يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (الطارق : ٥-٧) ، ولا شك أن هذا موجه إلى من يستطيع بقدرته الفكرية أن يتوصل إلى دقة الصنع في الكون ، ومعجزة الخلق في الإنسان لعله يهتدى بهذه الأدلة إلى الإيمان بالخالق جل وعلا .

وفي آيات أخرى يوجه الخطاب إلى من هم أقل ثقافة ، فيقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسئَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ ﴾ (الحج : ٧٣) . ويقول : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴾ (الفرقان : ٣) . وقد كان رسول الله ﷺ يخاطب كل إنسان على قدر ما يفهم ، ويجادله بالدليل الذي يكون تأثيره كبيراً في نفسه ، فقد

ورد أن رجلاً يدعى الحصين ، كان ذا مكانة بين قريش ، أرسلوه يوماً إلى رسول الله ﷺ ليكلّمه حتى ينتهي عن دعوته ، فلما جاء إلى النبي ﷺ قال : أوسعوا للشيخ ، فقال الحصين : ما هذا الذي بلغنا عنك ، أنت تشتم آلتنا وتذكرها ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : يا حصين ! كم تعبد من إله ؟ قال : سبعة في الأرض وواحد في السماء . فقال : فإذا أصابك الضر ، لمن تدعو ؟ فقال الذي في السماء . قال : فإذا هلك المال ، من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال : فيستجيب لك وحده ، وتشرك معه ؟ أسلم تسلم فأسلم الحصين ...^(١)

فهذه الأمثلة توضح لنا أن على الداعية أن يستخدم الأسلوب العقلي مع من يدعوهم إلى الإسلام ، وأن يراعى حالة من يدعوهم ، فإن كان على الثقافة ارتقى معه في الدليل ، وإن كان أقل فليجعل دليلاً مناسباً لثقافته ، ومتفقاً مع متطلبات الظروف ، ومعطيات الأحوال ، كما فعل رسول الله ﷺ مع الحصين . وهذا هو مقصود المنهج الأول الذي جاء التعبير عنه في الآية بقوله تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾ (النحل : ١٢٥) ، فالحكمة هي استعمال الدليل العقلي مع المدعويين كل حسب حاله ، وطبقاً لدرجة ثقافته .

ويختص المنهج الثاني في الدعوة إلى الله بتذكير المسلمين بآلاء الله ونعمه عليهم ، وإيقاظ وجدانهم الروحي ، وإذكاء حرارة

(١) قارن ابن الترمذى ج ٥ ص ١٩ ، والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٨٠ ، الأحاديث والمثلثان ج ٤ ص ٣٢٣ .

الإيمان في صدورهم حتى تظل قلوبهم معلقة بالإيمان، وأفئدتهم مرتبطة بذكر الله ، وجوارحهم ملتزمة حدود الله ، ويساعدتهم على ذلك فقههم في دينهم ، ومعرفتهم أحكام شريعتهم ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا قام الدعاة بواجبهم في هذا المجال ، فيعلمون الناس ويفقهونهم في دينهم ، وهذا هو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ ﴾ (النحل: ١٢٥) ، أى يجب على المؤمنين - وخاصة الدعاة منهم - أن يقوموا بواجب تعليم الناس الأحكام الشرعية، وتذكيرهم بين الحين والآخر بما يلين قلوبهم ويؤثر في نفوسهم، حتى تُسدَّ النوافذ أمام الشيطان، فلا يكون له سبيلا إلى التأثير على المؤمنين .

ومن المعلوم أن عمل الدعاة في هذا الحقل يشبه عمل الأطباء، فكما أن الأطباء يعالجون المرضى ، ويعلمون الناس طرق الوقاية من الأمراض ، فكذلك الدعاة يعالجون علل النفوس ، ويحمونها من الأمراض الفتاكة بالموعظة والإرشادات والنصائح المستخلصة من الكتاب والسنة ، إذ لا تصح النفوس إلا بها ، ولا تسلم القلوب من المخاطر إلا بسماع ووعى ما في الكتاب والسنة، ولا تقلع النفوس عن غيها إلا بالتذكير بما أصاب المفسدين والتكبرين ، يقول تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات : ٥٥)

فالوعظ والإرشاد هما العلاج الناجع للأمة ، يشهد على ذلك أن الأمة التي انتشر فيها الوعاظ والخطباء تحيا بمقدار قدرتهم

على معالجة الأمراض الاجتماعية ، ويشتد عودها ويسلم من الأمراض كلما وجد التيار الديني طريقه الصحيح في نفوس أبنائها. فإذا كان الواعظ ماهراً ، والخطيب حكيماً استطاع أن يسلك من الطرق في الإرشاد ما يشفى القلوب من أمراضها، ويوقظ الضمائر من نومها ، ويظهر النفوس من أدران النقائص والردائل ، وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد حتى ترجع عن غيها ، وتعود إلى حد الاعتدال ، وتحلّى بالفضائل والكمال .

هذا في الجانب المعنوي الإرشادي من الموعظة الحسنة ، أما الجانب الآخر منها، فهو جانب التعليم، والتفقه في الدين، إذ يجب على المسلمين - امثالاً لأمر الله بأن يعظوا المسلمين - أن يكون منهم مجموعة متفقهة في الدين ، عالمة بأحكام التشريع ، تقوم على تعليم الناس أحكام دينهم، وفقه شريعتهم، حتى يودوا عبادتهم بالصورة الصحيحة، ويكونوا على بينة من تقييم مسائل الحياة المختلفة ، فلا تضلهم أصوات المفسدين، ولا تنحرف بهم آراء الجهال والمدعين عن الطريق المستقيم .

ولا بد من وجود هذه الفئة في المجتمع الإسلامي ، لأنهم هم المنارة التي يلجأ إليها الحائرون ، والمصاييح التي يهتدى بنورها المهتدون ، فوجودهم ضروري في المجتمع ، فلا يجوز للمسلمين أن يتهاونوا في إعداد هذه الطائفة المتخصصة في شرح أحكام الله وتعليمها للناس، حتى ولو كانوا في حالة تحتم على كل مسلم الانخراط في سلك المدافعين عن الإسلام في ميدان القتال، فقد

استثنى الله من هذا الواجب أولئك الذين عكفوا على دراسة العلوم الدينية، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نُفِرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٢) ، لأن التفقه في الدين من العوامل المؤثرة في حياة المجتمع في سلمه وحرابه ، فهو الذى يكون المسلم الصالح ، الذى يرضى الله - نتيجة للتربية الدينية على أيدي الفقهاء - في عمله ، ويخشاه في سلوكه مع الناس . وما المجتمع القوي إلا أفراداً صالحين في أعمالهم، مستقيمين في سلوكهم؛ إذ كلما حسنت أعمال الأفراد قويت الأمة بإنتاجها وإنجازاتها في جميع مجالات الحياة ، وكلما استوى سلوك الأفراد واستقامت حياتهم، ازدادت صلابة الأمة واشتدت قوتها، فلا يقوى عدوها على زعزعة بنيانها، أو خلخلة تماسكها الاجتماعي .

وعليه فعمل الداعية - سواء كان في مجال التعليم والتدريس، أو في مجال التذكير والتنبية - أساس بنيان الأمة، فمن يرغب في بناء أمة قوية ، فلا ينبغي أن يهمل هذا الجانب الحيوى في البناء .

وقد وصف الله النهج الثالث في مجال الدعوة بقوله : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) ، فقد يكون الحسن المطلوب هنا : اختيار الكلمة الطيبة التي لا تؤذى أحداً ، ولا تجرح كرامته ، وقد يكون سلوك أفضل الطرق الموصلة إلى إقناع الخصم مع البعد عن الحماس والانفعال الذى قد يؤدي إلى

حجب الحقيقة ، وتجنب تحقير فكر من يخالف الداعية في رأيه ، فلا يزدريه، أو يسخر منه، أو يسيبه؛ إذ ما دام غرض الداعية الوصول إلى إقناع من يدعوهم بالإسلام، فلا بد أن يستميلهم ، ويكسب ثقتهم أولاً ، لأن هذا يجعلهم يسمعون قوله، ويصفون لحجته ، ويفكرون في أدلته .

أما إذا أغلظ القول لهم ، فإنهم ينفرون منه ، ويعرضون عن سماع حجته . فالذين في القول مطلوب من الداعية حتى مع الذين آمنوا ورضيت نفوسهم بما يقول ، وخضعت جوارحهم لما يأمر به، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) ، فإذا استهان الداعية برأى من يدعوهم إلى الإسلام، وعاب ما يعتقدون، فلا ينتظر منهم لا المقابلة بالمثل، لأن الإنسان لا يسكت على إهانته ، حتى وإن تدنت طبقة الاجتماعية ، ولا يرضى السخرية بمعتقداته، حتى وإن كانت ظاهرة البطلان للعقلاء وأصحاب الفكر السليم ، فقد نهانا الله عن سب آلهة الكفار والملحدين ، على الرغم من نطلانها وعدم قيمتها في عالم الأفكار ، فقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام : ١٠٨) ، بل إن القرآن الكريم علمنا كيفية التصرف مع المعاندين إذا أصروا على عنادهم، واستمروا في عبادة الأوثان والأحجار ، أو استمروا

الإشراك بالله، فقال تعالى مبيناً ما يجب اتباعه مع الكفار : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ • لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ • وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ • وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ • وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ • لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكاغرون: ١-٦)، وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٦٤)، أى إذا بلغ الداعية رسالة ربه إلى من يعبد آلهة من دون الله، وحاجهم بالقول اللين ، والحجة الواضحة فأصروا على دينهم، ولم يتجاوزوا هذا الإصرار، فم يحاربوا الدعوة، ولم يقفوا فى طريق عمل الدعاة ، فلتركهم وشأنهم ، لأن مهمة الداعية هى التبليغ فقط ، فلا يتجاوزها إلى فرض الإيمان بالقوة ، يقول الله تعالى لنبه ﷺ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَلَّتْ تَكْرَهُهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ٩٩).

كذلك يكون الحسن فى المجادلة باتباع أسلوب المجادلين ، أى محاورتهم بالمنهج الذى يتبعونه ، فإن كانوا فلاسفة ومفكرين ، فليسلك الداعية معهم حواراً فكرياً حول طبيعة الكون ومصدره ، ومركباته المتناسقة فى تفاعلها وانسيائها، كما يناقشهم فى مفهوم الحياة وغاياتها، وعلاقة الإنسان بما حوله من ظواهر طبيعية، وما فى داخله من تركيبات فسيولوجية، وعوارض نفسية وروحية. وإن كانوا اقتصاديين فليبين لهم أحكام الإسلام وتشريعاته فى

عملية المال في المجتمع، وكيفية توزيعه على أفرادهِ . وإن كانوا اجتماعيين فيشرح لهم أثر الإسلام في تكوين الخلايا الاجتماعية، وأهمية تعاليمه في تنظيم العلاقات بين جميع أطراف الجنس البشري وهكذا مع كل مجموعة ، يكون حديثه مطابقاً لاهتمامات أفرادها وتخصصاتهم ، حتى العامة من الناس، فإنه يسلك معهم طريقاً تتفق مع معلوماتهم ، وتناسب مع قدراتهم الفكرية .

أما إذا تجاوز المدعوون حدود الحد الفكري ، فاعتدوا على المسلمين ، أو حاربوا الدعوة بأساليب تخرج عن دائرة الحوار الفكري إلى استعمال القوة واستخدام السنطة ، فإن حسن المجادلة في هذه الحالة لا يكون إلا بانئيل ، وهو المجابهة بالقوة، ولا يقوم الدعوة بهذا ، لأن الأمر في هذه الحالة خارج عن طاقتهم وتخصصهم ، بل يكون ذلك واجب الحاكم ، أو ولي الأمر ، فهو في هذه الحالة مدعوٌ إلى الدعوة إلى الله بما يملك من سلطان وقوة ، يقول الله تعالى : ﴿ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ • الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِم بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج : ٣٩-٤٠).

فالمنهج الثالث ، وهو : " المجادلة بالتي هي أحسن " يتضمن القول الحسن والأسلوب اللين ، واختيار الأدلة التي تتفق مع درجة ثقافة المجادلين ونوع تخصصهم، كما يتضمن استعمال القوة ،

عندما يعلن الخصم العداوة ، ويستخدم سلطانه وقوته لمنع الدعاة من نشر الدعوة ، أو يستخدم جيروته في تعذيب من آمن بالإسلام والتكيل بهم .

كان أسلوب الدعوة منذ صدع محمد ﷺ بالأمر متسماً بالحكمة ، فلم يعرض الإسلام على أصحاب الأديان والمعتقدات الأخرى إلا من زاوية العقل ، ولم يطلب منهم الاعتراف بتعاليمه وأحكامه إلا بناءً على اقتناع وتسليم به ، لا خضوعاً لتقليد ، أو خوفاً من سلطان وتعذيب . كذلك تعهد الرسول ﷺ أصحابه بالرعاية ، فعلمهم أحكام الله بأسلوب لين ، وأيقظ مشاعرهم الدينية بمواعظ هزت أفئدتهم ، ورقق قلوبهم بتلاوة وحى الله عليهم ، وقوم سلوكهم بما ضربه لهم من أمثال : سلوكا ، وقولا ، واستشهاداً بما حدث مع الغابرين ، كما أفحم المجادلين والمعاندين بقوة بيانه ، ونصاعة حجته ، وحسن اختياره الأسلوب المناسب ، والمنهج المؤثر فيهم .

كان هذا المنهج في التبليغ تشريعاً للدعاة من بعده ، يسرون عليه إن أرادوا لدعوتهم النجاح والاستمرار ، لأنه يغطي جميع فئات البشر ، سواء منهم الذى يسمع نداء الدعوة لأول مرة ، أو من آمن وانخرط في سلك المسلمين ، أو من وقف معانداً ومكابراً ، وكذلك من تجرأ فأعلنها حرباً على الإسلام والمسلمين . فلكل أسلوب يخاطب به ، ومع كل طريقة يجب على المسلمين اتباعها ، يقول الإمام الغزالي في كتابه : " القسطاس المستقيم " : " إن

المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ... فإن الحكمة إذا غدى بها أهل الموعظة أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير ، وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها، كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمى... وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال، لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن الكريم ، كان كمن يغذى البدوى بنخب البر وهو لم يألف إلا التمر ، أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر .

غير أن بعض الباحثين يرى أن هذا التقسيم ليس تقسيم مجموعات البشر بالنسبة لمواقفهم من الدعوة ، بل إنه بيان لحالات تعترى الشخص الواحد ، إذ في الإنسان ثلاث قوى : القلب والعقل والعاطفة ، ولكل أسلوب ومنهج يخاطب به . ولما كان الإسلام ديناً عاماً لكل الناس ، وهو أيضاً دين منطق وحكمة ، يهدف إلى تربية جميع حواس الإنسان ، كان من الطبيعي أن يخاطب كل فرد من أفراد المجتمعات الإنسانية ، ويتجه في الوقت نفسه إلى تربية كل القوى النفسية ويهذبها لتتضامن جميعاً في الإيمان وفي تربية الشخصية الإنسانية .

وعليه فأسلوب الدعوة ينبغي أن يكون مرناً ، فيتشكل حسب الظروف والملابسات كي يصلح لطوائف الناس، عندما تبرز المواجهة التي تظهر في المجتمعات الإنسانية حين يدعى الناس إلى اعتناق دين جديد ، أو يشبع في المجتمع تيار فكري مستحدث،

فيبدأ الداعية بعرض الدعوة بأسلوب عقلي ، فإن آمن المدعو ،
علمه أحكام الشريعة ، وأيقظ مشاعره الدينية بالموعظة الحسنة ،
أما إن كابر وجادل ، تعامل معه نداعية بالأسلوب المناسب حتى
لا يخرج في دعوته عن المنهج الحسن .

كما ينبغي على الداعية أن يكون مستعداً في كل وقت للرد
على أسئلة كل من اعترته بعض الشبهات، فإن كان مجرد
استفسار نتجت عنه غيوم فكرية ، أزيلت بالأسلوب العقلي ، وإن
تمكنت من المعارض فدفعته إلى المجادلة دفاعاً عن تيارات فكرية
مضلة ، فعلى الداعية بمجادلته بالتي هي أحسن ، وإن كان بعيداً
عن هذا وذاك فليتعهد الداعية بالموعظة الحسنة ، وتعليمه أحكام
الله . ولتذكر الدعاء قول الله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه : ٤٤) .

وعليه فلا تُقبل دعوة تطوير الخطاب الديني منهجياً ، لأن
منهجها رسمه الله في القرآن الكريم ، ولأنه منهج صالح لكل زمان
ومكان كما بينا ، غير أنه يجب تصحيح ممارسة الدعاء للخطاب
الديني ، وذلك بتأهيلهم تأهيلاً صحيحاً ، بحيث يصحون قادرين
على استعمال الخطاب المناسب لمن يتحدثون إليهم ، فلغير المسلم
أسلوب ، وللمسلم خطاب ، وللمعاندين والمنائين لغة وطرائق
متعددة ومتدرجة ، فلا يتعدى معهم منطقة النقاش والمحاورة إلى
استعمال القوة والعنف ، فذلك خارج عن مهمته ووظيفته . وذلك
ما ينبغي أن يفهم من دعوة إصلاح الخطاب الديني :

- تصحيح لا تطوير
- توجيه للدعاة باستخدام الأسلوب الصحيح في مجال الدعوة .
- لا مطالبتهم بأن يخضعوا لتوجيهات القوة الأولى في العالم.
- السماح لهم بحرية الكلمة كما يطالب بذلك دعاة الديمقراطية .
- لا تكميم للأفواه ، أو الحمل على ترديد ما تمليه عليهم قوى البغي والطغيان .
- فلا ينبغي أن يمنعهم من الكلام إلا المحافظة على حرمة الآخرين واحترام عقائدهم ، وعدم المساس بمبادئ النظام العام ، سواء على المستوى المحلي ، أو طبقاً لما تعارف عليه الشعوب ، وأقرته المنظمات الدولية .

البعد عن الخرافات والأوهام

هل يُقصد بالتطوير البعد عن الخرافات والأوهام ، وتجنب كل ما يدعو إلى العنف والإرهاب ؟
تنقسم أساليب الإقناع إلى قسمين :
الأول : خطابي وجداني .
الثاني : برهاني عقلي .

فالمجتمعات البدائية، والطبقات الاجتماعية ذات الثقافة المحدودة في المجتمعات المتقدمة تتأثر بالأسلوب الخطابي الوجداني ؛ إذ ليس لها من قوة الإدراك ما يمكنها من فهم البراهين العقلية - وهي لا زالت شريحة واسعة تستغرق في كثير من المجتمعات المعاصرة معظم الطبقات الاجتماعية - وليس عندها الاستعداد الذهني لفهم القضايا المجردة ، والأدلة القائمة على أساس علمي ، سواء أكان ذلك في مجال الافتراضات العقلية، أو في ساحة الاختراعات العلمية والاكتشافات الكونية، فهي تميل إلى المحسوس، وتستهوئها القصص ، وتخضع كلية لأوهام الخرافات، وترهات الأساطير ، ولهذا نجد الأديان - وخاصة ما يسمى بالأديان البشرية - مليئة بهذا النوع من الأساليب ، لأنها كانت - ولا زالت - تحاطب مجتمعات بدائية ، أو شعوباً معظم أفرادها واقع تحت سيطرة الفكر الخرافي ، فكان لا بد من استخدام هذا الأسلوب

الوجداني لتأثير عليهم فكرياً ، حتى يتقادوا لمبادئ الدين، وينفذوا تعاليمه .. حتى الأديان السماوية لم تخل من هذا النوع من الفكر ، لأنها تخاطب كل الناس، ومنهم - وهم الأغلبية - من لا يستطيع فهم البرهان العقلي، فكان لابد أن يُستخدَم الأسلوب الخطابي الوجداني لإقناعهم بصحة المبادئ الدينية الموحى بها من الله سبحانه وتعالى، غير أن مضمونها يختلف عما جاء في الأديان البشرية ، وأسلوبها يقود من يتأمله ويفكر في دقائقه - حتى ولو كان عنى درجة عالية من الثقافة والفكر - إلى أنه حقيقة لامراء فيها، وأن ظاهره أسطورة ، وباطنه حقائق علمية تقوم على أساس فكري سليم ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦) ، فضرب الأمثال نوع من الأسلوب الخطابي الوجداني الذي يؤثر في عامة الناس، فكان لابد أن يوجد هذا النوع في القرآن الكريم ، وإلا خرج معظم أفراد المجتمع الإنساني من دائرة الخطاب الديني ، وانصرفوا عن الاستماع إلى كلمة الله ، لأنهم لن يفهموا أسلوب البرهان العقلي.

وعليه فيجب على الداعية أن يكون ملماً إماماً تاماً وشاملاً بأسلوب الإقناع : الخطابي والبرهاني ، وأن يدرك أن لكل مجالاً ، فلا يستعمل البرهان العقلي مع عامة الناس الذين لاحظ لهم من الثقافة ، ودرجة إدراكهم الذمعي متواضعة ، حتى يكون لكلامه

أثر في نفوسهم ، وذلك بفهم أدلته الحسية ، وضرب الأمثال المؤثرة في وجدانهم ، وسرد القصص الهادفة لإقناعهم بتعاليم الإسلام ، وسرد الحكايات التي تجسد المبادئ الإسلامية المجردة في أفئدتهم ، ولكن...لايستغرق في هذا النوع بحيث يؤثر سلباً على سلوك المؤمن في حياته ، وإبداعاته ، ونشاطه في المجالات الاجتماعية والعلمية المختلفة ، كذلك لا يستخدم هذا الأسلوب مع المتقنين والمفكرين، حتى لا ينصرفوا عنه مملاً، واستهزاءً بما يسمعون من أقاويل لا يقبلها العلم، ولا يقرها المنطق، ولا يستسيغها المشتغلون بالبحث في طبيعة الكون والإنسان .

وليس هذا تطويراً للخطاب الديني ، بل تصحيحاً لمساره ، بحيث يدرك الداعية أن لديه أنواعاً من الأساليب ، وأمامه شرائح اجتماعية وثقافية متعددة ومتنوعة، فيخاطب كل شريحة بالأسلوب الذي يناسبها، ويتحين الوقت الملائم، والمكان المناسب، ولا يتمادى في نوع ما من هذه الأساليب إلى درجة ينتج عنها ضرر من أى نوع ، فهو كالطبيب، يصف الدواء المناسب، بالجرعة المناسبة ، لا يتجاوز الحدود ، حتى لا يفقد الخطاب الديني تأثيره على الناس ، أو يؤثر تأثيراً عكسياً كما هو الحال اليوم في كثير من ميادين وجوده ، وساحات ممارساته .



دعوة الإسلام إلى العلم والعمل

هل يقصد بالتطوير تفادى كل ما من شأنه غرس اللامبالاة، والكسل ، والسلبية في مجال الإنجازات الحضارية ، والتأكيد على دعوة الإسلام إلى العمل والإتقان ، وحث المسلمين على إعمار الأرض لبناء الحضارة ، وتحقيق التقدم في جميع المجالات : زراعية ، وصناعية ، وتجارية ، وفنية ، وإبداعية ... و... وإلخ ؟

لا يركز الإسلام في أوامره ونواهيه على العبادات فقط ، بل تتسع أوامره ونواهيه لتشمل جميع مناحي الحياة على اختلاف ميادينها ، وتنوع مقاصدها ومراميتها ، بل إن العبادات في الإسلام وسيلة لا غاية ، وسيلة لتكوين شخصية الإنسان ، وتهذيب أخلاقه، وتقويم سلوكه ، كى يؤدي واجبه على الوجه الأكمل في إعمار الأرض ، واكتشاف ما في الكون من عناصر وأسرار تساعد على الاستمتاع بما فيه من طيبات ، وتحصين نفسه ضد أخطاره ومساوئه . فالعبادة المقصودة في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) ، ليس معناها ما يُؤدَّى من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍ فقط ، بل تشمل أيضاً كل ما يطلب من عمله لإعمار الأرض ، فالقرآن الكريم يحث في كثير من آياته الإنسان على العمل ، منها قول الله تعالى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (الجمعة : ١٠) ، أى اخرجوا من المساجد واعملوا في أرض الله الواسعة سعياً في تحصيل الرزق .

وقول الله تعالى :

﴿ ... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا..... ﴾

(هود : ٦١).

ولا يكون الاستعمار إلا بالعمل الدءوب في البحث في باطن الأرض وظاهرها للحصول على ما يساعد في بناء حضارة ، واكتشاف ما حوله ليستفيد منه ، سواء كان ذلك نفعاً فيطوره ويستخدمه، أو ضراً فيتجنبه ويتدع من الأساليب والمواد ما يحويه منه وغير ذلك من آيات قرآنية حثت المسلم على العمل ، وحذرت من الكسل واللامبالاة ، وأمرته بإتقان ما يقوم به من أعمال . وجاءت الأحاديث النبوية مؤكدة لهذه المعاني وموضحة لها ، قال رسول الله ﷺ : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " ^(١) ، وقال : " إذا قامت القيامة ويبد أحدكم فسيلة ، واستطاع أن يفرسها فليفرسها " ^(٢)

ولو أردنا إحصاء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تصب في هذا المجال ، مجال العمل الدنيوى ، والحث على الإتقان والإبداع والابتكار ، واكتشاف أسرار الكون - وهى الأمور التي تقوم عليها الحضارة الإنسانية - لضاق بها مقام هذا الحديث ، ويكفى أن نركز على القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الحضارة ، ألا وهى العلم ، فقد حثت أول آيات نزلت من القرآن الكريم عليه ، وهى قول الله تعالى :

(١) مسند أبى يعلى جـ ٧ ص ٣٤٩ ، والمعجم الأوسط جـ ١ ص ٢٧٥

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٣ ص ١٩١ .

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ • ﴾ (العلق : ١-٥).

لم يبدأ القرآن الكريم بتحريم عبادة الأوثان التي كانت منتشرة في مكة ، ولم يفتح آياته بأمر أهل مكة بعدم ظلم الإنسان لأخيه الإنسان الذي كان سائداً في مكة، حيث كان العبيد يقاسون من ظلم أسيادهم ، وحيث كان لا يستطيع أحد أن يعيش سالماً في هذا المجتمع إلا إذا كان في كنف (أى جوار) أحد السادة ، وغير ذلك من صور الظلم والفساد التي كانت متفشية في حياة المجتمع المكى ، بل أثر القرآن الكريم أن يبدأ بتوجيههم إلى العلم ، لأن العلم الصحيح هو العلاج لكل مفاسد الأرض ، وهو الحصن الذي تحصن به المجتمعات ضد ما يهدد كيانها ، ويفسد حياتها ، بل يساعد على بث الأمن والطمأنينة في ربوع الحياة الاجتماعية ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في سرده لحديث الله مع الملائكة ، عندما أراد خلق آدم ﷺ ، يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠).

ويبدو من تعليق الملائكة على إخبار الله لهم ، بأنه سيجعل في الأرض خليفة ، أنهم كانوا على علم ودراية بما يمكن أن يحدثه هذا المخلوق من فساد في الأرض . ولم ينف الله إمكانية حدوث

الفساد منه ، بل رد عليهم رداً له مغزى كبير في مجال التربية الإنسانية ؛ ذلك أنه بين لهم أنه يعلم ما خفى علمه عليهم ، وهو أن التعليم والثقافة من العوامل التي يمكن أن تحد من هذا الفساد ، أو تقاومه ، فلا تترك له السيطرة على حياة الإنسان ، يشير إلى ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ ابْنُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾
(البقرة : ٣١-٣٣).

فقد وضع تفوقه عليهم في العلم رداً على سبب اعتراضهم على خلقه بأن سيفسد في الأرض ، وتلك إشارة إلى أن العلم من شأنه أن يمنع الانحراف في المجتمع ، ويقاوم الفساد في الأرض ، فمن مهامه تقويم السلوك ، وتهديب الأخلاق ، وهداية الإنسان إلى فعل ما يعود عليه وعلى المجتمع بالخير العام .

وليس بلازم - طبقاً لتجربة التاريخ الإنساني - أن يقضى العلم على جميع صور الفساد في المجتمعات التي بلغت شأواً كبيراً في مجال العلوم والثقافة ، ولكنه - على الأقل - يحد منها ، أو يقضى على الصور الصارخة منها ؛ فلو قارنا بين شريحة متعلمة ، وأخرى لم تنل حظاً كبيراً من التعليم ، لوجدنا أن معدل الفساد في الثانية

أعلى منه في الأولى، ولتبين لنا أنه حتى لو حدث الفساد في الأولى، فإن صورته تكون أكثر احتمالاً، وأقل ضرراً من الفساد في المجموعة الثانية . ولهذا لم ينف الله - سبحانه وتعالى - وجود الفساد من هذا المخلوق الذي سيجعله في الأرض خليفة ، لأن من طبيعته الميل إلى عمل الشر، والنزوع إلى ارتكاب أعمال قد تحدث الفساد في الأرض .

وهذه نظرية لم تكن معروفة بهذه الدرجة في المجتمع المكي، يوم أن نزل الوحي على محمد ﷺ . الأمر الذي يجعلنا نجزم بأن هذه المعالجة التي تضمنت معالم دراسات في مختلف مجالات البحث عن هوية الإنسان ، لم تكن من عند محمد ، لأنه كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، ولم تكن في مجتمعه هيئات علمية تمدّه بهذه النتائج التي من شأنها أن تكون حصيلة دراسات متعددة، بل هي من عند الله الذي يعلم كنه وطبيعة ما يخلقه، فهو أعلم بسلوكه ، وبما يميل إليه في حياته .

فالباحث العلمي مبدأً أساسياً في الإسلام ؛ حث عليه ، بل فرضه على كل مسلم ومسلمة . ولذا امتثل المسلمون الأوائل لهذه الأوامر فأسهموا في جميع مناحي المعرفة : بتحصيل المعلومات ، وفحصها ، وتطويرها . كما اكتشفوا كثيراً من أسرار الكون ، ومكونات الطبيعة ، وأضافوا الكثير من النظريات إلى ما ورثوه من الحضارات السابقة ، فبنوا بذلك حضارة فريدة في مسيرة التاريخ الإنساني، حضارة استوعبت كل ما سبقها من حضارات : يونانية، وفارسية ، وبيزنطية ، وهندية ، فمزجت العناصر الإيجابية فيها ،

وأضافت إليها ، فخرجت ثوباً قشياً لامثيل له في التاريخ البشرى
للحضارات، والدليل على ذلك ما أنتجوه في مجالات العلم المختلفة،
ففى مجال الطب وصل المسلمون بفن العلاج إلى مستوى الكمال ؛
فقد أنشئت أول مستشفى في بغداد، في عهد الخليفة هارون
الرشيد ، ثم مالس أن افتتحت مستشفيات مماثلة لها في جميع أنحاء
المملكة ، وكان أشهرها: "بیمارستان" دمشق ، فقد توجه إليه
الأطباء للحصول على الدرجات العلمية التخصصية، وأمه الطلبة
للتدريب على ما يحتاجون إليه في امتحاناتهم، كما كان فيه قسم
خاص للإسعافات العاجلة .

امتدت الرعاية الطبية إلى جميع أنحاء الدولة ؛ إذ كان الأطباء
يزورون السجون من آن لآخر لعلاج المسجونين، كما قاموا
بزيارات للقرى النائية، واهتم الأطباء أيضاً بعلاج الأمراض النفسية،
فلم يتجنب المسلمون المرضى، وينظرون إليهم نظرة احتقار ، كما
كان يفعل الأوروبيون معهم آنذاك ، واستمرت هذه المعاملة قرونًا،
فقد ظل المريض نفسياً محتقراً في أوروبا، وكان الأوروبيون يفرون
منهم كما يفرون من مرضى الجذام ، ويتجنبونهم كما يتجنبون
المجرمين .

كانت رعاية المرضى سبباً في اكتشافات جديدة في مجال
الأدوية ، ذلك المجال الذى أصبح علم العرب الذى لاينازعهم أحد
فيه؛ إذ اكتشفوا العديد من المستحضرات الطبية ، واستعملوا كثيراً
من الأعشاب في علاج المرضى ، وأثروا هذا المجال باختراعاتهم
العديدة .

ظهر العديد من المراجع الطبية في هذه الحقبة الزاهرة في تاريخ الطب العربي ، ثم انتقلت عبر إسبانيا إلى أوروبا ، فكانت أسس علم الطب في مدارسها العليا لعدة قرون . ومن بين من كتبوا هذه المراجع : الرازي ، فقد اشتهر في أوروبا بأبحاثه الطبية ، وخاصة ما تناول فيها مرضى الجدري والحصبة ، فقد ترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية ، وطبعت طبعات عدة على امتداد عدة قرون ، وكان آخرها طبعة نشرت في إنجلترا في القرن التاسع عشر الميلادي ، وحرصت جميع المكتبات الأوروبية على اقتناء نسخ من مؤلفات الرازي . كذلك أطلق الأوربيون على ابن سينا لقب "أمير الأطباء" ، فقد أثنى المكتبة الطبية بأبحاث طبقت شهرتها الآفاق ، فلا يجهد من له صلة بعلم الطب كتابه " القانون " الذي بلغ شهرة لا مثيل لها بعد ترجمته إلى اللاتينية ، بما يضمه من أبحاث عن علم الصحة ، والفسولوجيا ، وطرق العلاج والأدوية ، وأمراض العيون ، وغير ذلك من المجالات التي لم يسبقه أحد في بحثها .

كان ابن الهيثم من أشهر أخصائي أمراض العيون ، فقد كتب عن البصريات وانكسار الضوء، والرؤية بالعدسات، وأهمية الحجرة المظلمة في عيادة طبيب العيون للتشخيص والعلاج ، وقد انتفع " روجر بيكون " و " كيبلر " بهذه الأبحاث .

وكان أبو القاسم - الأسباني المولد - أشهر جراح في ذلك العصر ، فقد باشر في عالم الجراحة أعمالا لم يجرؤ أحد من قبله

على القيام بها ، كما استعمل أيضاً في الخياطة الداخلية لأول مرة نوعاً لا يحتاج إلى نزعه ، بل يتأكل كيماوياً داخل الجسم . كما أحيضت شخصية الكيميائي الطبيب جابر بن حيان في القرون الوسطى بهالة من القصص العجبية ، التي تتعلق بتجاربه في الكيمياء في حمامات الأحجار الكريمة وصنع الجلود ، والنسيج ، وطلاء المعادنو...و...إلخ . والحق أن العرب توصلوا إلى أن التجربة هي أساس البحث ، وذلك هو ركيزة العلم الحديث.^(١)

لم تكن هناك محظورات دينية تحرم على المسلم أن يخوض في أى مجال من مجالات العلوم، ولم تصدر قرارات كهنوتية تمنع المسلم من البحث والإبداع والابتكار ، بل إن ما كان منها مخالفاً لتصور ديني ، أو لرأى من آراء " رجال الدين " كان يناقش - في الغالب الأعم - مناقشة علمية ، حيث يبين المتخصصون جوانب معارضة المبادئ الدينية له ، أو مخالفته للأحكام الفقهية . مناقشات علمية بين علماء الدين والمبدعين ، دون إصدار فرمانات تصدر الفكر ، أو تحرمه بقوة السلطان ، بل مناقشة بالحجة والدليل ، ومعارضة بالعقل والمنطق، مصحوباً ببيان ماهو صالح للفرد والمجتمع ، وماهو منافع للعقيدة ومهدد لسلامة المجتمع وأمنه، وغالباً ماتكون الغلبة للجانب العلمى ، إذا كان غير مخالف لنص مقطوع الدلالة ، أو مناقياً لرأى دون آخر.

(١) راجع : الإسلام في الفكر الأوربي ص ١٣٣ وما بعدها

هل يتصور أحد أن ديناً هذا شأنه يدعو في خطابه إلى اللامبالاة ، أو يقر الكسل والبعد عن العمل ؟

لا.... إلا إذا كان القائمون على الدعوة قد انحرفوا عن الطريق الصحيح ، وفي هذه الحالة لن تكون المطالبة بتطوير هذا الخطاب تعبيراً صحيحاً، بل الصحيح العمل على تصحيحه لا تطويره ، أى تصحيح مساره ؛ وذلك بإرجاعه إلى ما رسمه الله ﷻ في كتابه العزيز ، وما عبر عنه رسوله ﷺ فيما صحت الرواية عنه .

التصحيح.... ثم التصحيح ... ثم التصحيح لا التطوير
وذلك بإعداد الدعوة إعداداً صحيحاً ، بحيث يمكنهم الالتزام بمنهج الإسلام في الدعوة ، وبأسلوب القرآن الكريم في مخاطبة المسلمين وغير المسلمين ، والالتزم بالمبادئ الإسلامية فيما يعرضه الداعية - في خطبه ، وأحاديثه ، وفتاواه - على الناس ، فلا إغراق في الأساطير والخرافات ، ولا غلو في ممارسة العبادات (صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج وغيره مما نص عليه القرآن الكريم من الفروض والسنن وما بينته وفصلته السنة النبوية الشريفة) ، ولا تحقير للعمل الدنيوى ، ولا تنفير من السعى في ملكوت الله ، بل اعتدال في كل ما يمارسه المسلم من تأدية العبادات ، والسعى على الرزق، والاجتهاد في إعمار الأرض ، وبذل كل مالدى المسلم من طاقات في المجالات التى تساعد على بناء حضارة إنسانية، يتمتع بمنتجاتها ، وتكون حصناً له وأمناً من اعتداءات كل من يريد به وبدينه سوءاً .



ما المقصود من التطوير؟

التطوير في اللغة :

طَوَّرَ الشيءَ : نقله من حال إلى آخر ، والأطوار : الحالات المختلفة، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (نوح: ١٤)، أى تارات : خلقكم أولاً ترابياً ، ثم خلقكم نطفاً ، ثم خلقكم علقاً، ثم خلقكم مضغاً ، ثم خلقكم عظاماً ولحماً ، ثم أنشأكم خلقاً آخر . ومما لاشك فيه أن كل طور يختلف عن الآخر مادةً وشكلاً وتكويناً ، فإذا قلنا تطوير الخطاب الدينى ، فلا يخرج المعنى عن رسم نوع آخر من الخطاب مخالف لما رسمه القرآن الكريم !!!

أما التجديد: ففعله جدّد الشيء أى جعله جديداً ، والجديد مقابل القديم ، أى أن الجديد حل محل القديم ، فهل هناك خطاب جديد يحل محل القديم الذى رسمه القرآن الكريم ؟؟؟ ماهو السبب الحقيقى لظهور هذا المصطلح فى محيطنا

الثقافى ؟

سبب ظهور هذا المصطلح على الساحة الثقافية فى العصر الحاضر ، هو دعوة أمريكا العالم الإسلامى إلى تغيير المناهج الدينية فى المدارس والجامعات الإسلامية ؛ لأنها ترى أن المناهج الحالية

تدعو إلى التطرف والإرهاب، ولم تكن الدعوة عامة، بل حددتها بحذف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث المسلم على الجهاد والدفاع عن دينه ووطنه ... حتى أنها طلبت حذف الآيات التي تتناول موقف الإسلام من اليهود والتركيز على ما يدعو إلى التسامح والتآخي بين البشر وقبول الآخر .

تجاوب المسلمون في جميع أرجاء العالم الإسلامي مع هذه الدعوة ، فانعقدت المؤتمرات ، ونشرت المقالات ، وأخرجت المطابع كتباً تعالج هذا الموضوع : بعضها أيد هذه الدعوة ، بل وسع من دائرتها ، فانطلق ينقد أسلمات والأسس التي يقوم عليها الفكر الإسلامي ، ويدعو إلى حرية الفكر دون حدود ، حتى ولو تجرأ الكاتب على النصوص المقدسة ؛ فالحديث عن وجود مناطق فكرية آمنة - هكذا يقول دعاة الحرية المطلقة - بمعزل عن التساؤل والنقد والنقاش الحر، هو مقدمة للحجر على العقول، وممارسة سلطة رقابية لا وجود لها في تاريخ الفكر الإسلامي!!! وحين وجدت كان هذا إيذاناً ببداية النهاية، ودخول عصر الجحود والانحطاط في كل المجالات، لا في مجل الخطاب الديني وحده . ألا يؤكد هذا أن الخطاب الديني في الماضي - كما في الحاضر جزء لا يتجزأ من نسق الخطاب العام؟ يجب إذن أن تتسع دعوة التجديد لتشمل كل مجالات الفكر والإبداع، وأن تتسم بقدر هائل من التسامح مع بعض التواءات، بل ومن بعض ما يمكن تصور أنه شذوذ وخروج على الإجماع. إن الحرية هي وحدها التي تحمي نفسها، وتحمي المجتمع من التآكل ومن التستر على أى فساد

يحتّمى بمقولات زائفة عن الحفاظ على الهوية وحماية القيم... إلخ ،
ذلك أن مجتمعات الثقة ، وعمادها الحرية الفكرية قادرة على
التحصن ضد التجمد والتحلل فى وقت واحد. إن خرج الإجماع
فى أى مجال يكون عادةً بدايةً لتأسيس إجماع جديد... (١)

هذه دعوة صريحة إلى إطلاق الحرية دون قيود، ونقد كل
ما هو قائم، حتى وإن طال النصوص المقدسة، فهو يدعو إلى
الخروج على الإجماع دون أن يحدد مجال هذا الإجماع ، مما يوحي
بأن الإجماع على صحة نصوص القرآن الكريم وأنه وحى من الله
داخل تحت هذا الذى يريد نقضه وإحلال إجماع آخر مكانه . نحن
لاندعو إلى التقليد ، واتباع ما كان عليه الآباء ، بل نحث على
حرية الفكر، ولكن هناك قيود ومسلمات ، كما هو الشأن فى كل
المجتمعات الإنسانية ، قديمها وحديثها ، بدائنها ومتحضرها
حتى المجتمعات التى بلغت الذروة فى التقدم والحضارة ، واحتضنت
دعوة حرية الفكر ودعت إليها ... لم تكن هذه الحرية - ولن
تكون - بدون قيود ، وليست خالية من المناطق المحظور تناولها أو
الحديث عنها . وعليه فالمجتمع الإسلامى لديه مناطق لا يجوز للعقل
دخولها ؛ فهى من المسلمات التى لا تقبل النقاش ، أو النقد ، وهى
فى الوقت نفسه لا تمثل عائقاً للتقدم ، أو قيداً على الإبداع ؛ فهى
لا تخرج عن ثلاث مسلمات ، وهى :

(١) نصر أبو زيد : الأهرام ٠٤/٢/٢٤ م٢.

أ- القرآن الكريم .

ب- السنة العملية والأحاديث المتواترة .

ج- شخصية الرسول ﷺ .

فص القرآن الكريم مسلم به ، وللعقل مجال واسع في تفسيره، وتأويله، وتحليله. ومن هنا كثرت الآراء ، وتعددت الأحكام. وليست هذه الكثرة في الآراء حول المسألة الواحدة ظاهرة سلبية ، بل هي إيجابية ؛ إذ هي تفسح المجال أمام تعدد أساليب الحياة ليأخذ كل فرد ما يناسب وضعه ، ويختار كل شعب ما يتفق مع بيئته وعصره ، ويفتح الباب واسعاً أمام التفسيرات والتأويلات المعاصرة مادام ذلك لا يخرج عن مفهوم اللغة ، ولا يصطدم مع مبدأ من مبادئ الإسلام الأساسية ، أو يتنافى مع الأسس التي تقوم عليها حياة الأمم والأفراد . فساحة العقل فيما يتعلق بنصوص القرآن الكريم هي لتفسير والتأويل والتحليل فقط ، ولا يجوز له أن يعترض على النص ، أو يغير حكماً قطعي الدلالة ، والنصوص المقطوع بدلالاتها قليلة جداً لاتكاد تعد على أصابع اليد الواحدة . إذن فالمجال واسع جداً للعقل في هذه المساحة . وكذلك الحال بالنسبة للسنة العملية والأحاديث المتواترة. أما شخص الرسول ﷺ فهي مصونة لا يجوز لأحد أن يتناولها بالنقد أو التحريج، ولا يسمح لأحد مهما بلغت درجته العلمية أن ينقد الرسول ﷺ ، أو يجرحه، أو يشكك فيما بلغه عن ربه ، أو يعترض على سلوكه روى عنه بالدليل القطعي ، فهو من المناطق المحرم على عقل المسلم

دخولها ، أو الادعاء أن له فيها مجال بمحجة حرية التفكير ، لأن لكل أمة محرمات لا يجوز الاقتراب منها، ومجالات لا يجوز خضوعها للبحث "العلمي" ، وذلك أمر مسلم به قديماً وحديثاً ، ومقبول من كل الاتجاهات الفكرية ... حتى المتطرفة منها ، الداعية إلى إخضاع كل مافي الوجود للتفكير العقلي ، فكل من عنده ذرة تفكير ، يعلم جيداً أن الحرية المطلقة لم .. ولن توجد على وجه الأرض .

أفصح السفير عبدالله الأشعل في كلمته التي ألقاها في الندوة التي عقدت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لبحث "تطوير وتجديد الخطاب الديني" عن الهدف من وراء دعوة الولايات المتحدة الأمريكية إلى تعديل المناهج الدراسية في المدارس والجامعات الإسلامية فقال : "أتناول مسألة الخطاب الديني من وجه آخر فلسنا بصدد تقويم الدعوة الإسلامية أو إصلاح الدعوة ولكن المسألة لها بعد سياسي . ولاشك أن الولايات المتحدة والغرب عموماً أرادوا اليوم القيام بهجمة جديدة ، وهذه الهجمة تطال الدين والدنيا معاً ، وأما الدنيا فقد أخضعوها لكل صنوف الإخضاع ، وأخضعوا الشعوب والحكام وغيرهم ، ثم يطالون الدعوة ذاتها والعقيدة نفسها .

"ولذلك أعتقد أن هذه الندوة يجب أن تدافع عن العقيدة الإسلامية في مواجهة هذه الهجمة ، لأن المسألة ليست مسألة داعية هنا أو هناك ، فهذه مسألة يمكن أن نقوم بها ، لأن إصلاح الخطاب الديني في جانبه الديني أو العقيدى لايجوز أن

يقتصر على منع الداعية حين يخطب على المنبر من أن يدعو على الولايات المتحدة وإسرائيل والصهيونية .

"إن ما أحشاه هو هذا التدرج في مواجهة الإسلام الذي تقوم به الولايات المتحدة ، فالموضوع بدأ أولاً بالتلويح ، ثم وصل إلى حد أن "فريدمان" كتب مقالاً في ١٢ ديسمبر ، وقال فيه لوزير الشؤون الدينية السعودي : إن الثقافة الإسلامية والضغوط الإسلامية بوضعها الحالي أنتجت تثاراً سيئة ، وهي التي أفرخت إرهابيين ، وأن عدداً كبيراً من الذين شاركوا في أحداث ١١ سبتمبر هم من السعوديين ، ومن ثم فإن المسألة تحتاج منك ياوزير الشؤون الدينية إلى وقفة . نحن نخطبك الآن ، ليس بوصفك تنتمي إلى دولة بها محطة بترول كبيرة ، كما نراها وننظر إليها ، وإنما نخطبك لأن السعودية أصبحت لها وظيفة أخرى غير ضخ البترول، وهي أن تفرخ الإرهاب ! "

" هذا الخطاب الصهيوني الذي يتلامس ويتداخل مع الجهد الأمريكي - وإن إسرائيل في الركاب الأمريكي يومياً وفي جميع المجالات - هو هجمة سياسية في المقام الأول ، وهذا الإطار العام أخطر من مجرد البحث عن إصلاح الخطاب الديني أو الثقافي بشكل عام في مصر .

" وأتصور أن تركز الندوة على الآتي في توصياتها :
أولاً : إن التركيز على الجانب الداخلي المتمثل في الخطاب الديني مهم جداً، ولكن يجب ألا يكون ذلك امتثالاً لأوامر من جهات مختلفة

ثانياً : هناك كثير من التيارات التي لاتواكب العصر في الجامعات وهذه أزمة مجتمعية عامة

ثالثاً : إن مأخضنا أن هذه البداية سوف تتبعها خطوات أخرى ، فهم يطالبوننا بإصلاح الدعاة وإصلاح الخطاب الديني ، ثم سوف يطالبوننا بعد ذلك بإصلاح العقيدة وإصلاح المصادر الحقيقية للعقيدة ذاتها.....

رابعاً : إن المسألة خطيرة ، ومايراد لنا وبنا أوسع من مجرد إعداد الداعية، أو إصلاح الخطاب الديني ، فهي تمثل هجمة عالمية، فالشمال يريد أن ينقض مرة أخرى على الجنوب ...^(١)

إن "فريدمان" عبر عن المخطط المرسوم للدول الإسلامية ، والتي أفصحت عنه تصريحات السياسيين الغربيين في مناسبات مختلفة . ورداً على هذه التصريحات - أو تجاوباً غير مباشر لها - عقدت مؤتمرات وندوات لبحث موضوع الخطاب الديني ، وكان ذلك تجاوباً مع خطاب السيد رئيس جمهورية مصر العربية في الاحتفال بليلة القدر لسنة ١٤٢٢هـ ، والذي دعا فيه إلى تطوير الخطاب الديني ؛ ففي ندوة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قال أ. د/ محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية في افتتاح هذه الندوة : "أود في البداية أن أرحب بحضراتكم ، وأعير لكم عن خالص شكري وتقديري على تفضلكم بالاستجابة لدعوة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية للمشاركة في هذه الندوة

(١) تجديد الخطاب الديني ، لماذا وكيف؟سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٨٤ ص ١٢٣ وما بعدها .

العلمية المباركة - إن شاء الله - . وهى ندوة فى غاية الأهمية ، لأنها تتعلق بموضوع الخطاب الإسلامى المعاصر ، وما له من تأثير كبير على الرأى العام وصياغة تصوراته حول قضايا الإسلام والمسلمين .

" ومن منطلق هذه الأهمية البالغة كانت دعوة السيد رئيس الجمهورية إلى ضرورة تطوير الخطاب الدينى ، وتجاوباً مع هذه الدعوة تأتى هذه الدعوة لتناقش الموضوع من جميع جوانبه ، وبأمل أن تتمخض المناقشات عن رؤى جديدة ومقترحات علمية مفيدة ، يمكن تضمينها فى برامج تدريب الدعاة ، وفى المطبوعات العديدة التى تقوم الوزارة بتوزيعها عليهم . " (١)

ثم توالى كلمات المشتركين فى الندوة ، فقال شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى : "... ونحن نسعى إلى أن تكون خطبة الجمعة والخطاب الدينى بوجه عام تمتاز بالوضوح وسرد الحقائق بأسلوب يقنع العقول والمشاعر الإنسانية ، وأن يكون هذا الخطاب يرمى مقتضى الحال ومناسبة الظروف ، وأن يكون الحديث وفق الظروف التى توجب علينا أن نتحدث بشكلها فى ضوء الأصول التى جاءت بها شريعة الإسلام المتمثلة فى كتاب الله عز وجل والسنة النبوية الصحيحة " (٢)

وقال الأستاذ الدكتور أحمد أبو المجد : " الخطر الأول : أننا نواجه قبل هذا الحدث - يقصد : ٩/١١ / ٢٠٠١ م - ومعه

(١) المصدر السابق ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠ .

محاولة للهيمنة الثقافية ، بمعنى أن قوة أتيح لها من القوة العسكرية والتمكين السياسي والاقتصادي ما يصور لها أن حضارتها هي الحضارة الأعلى، وأن لها حق التدخل في ثقافة الآخرين، وتعليمهم مفردات خطابهم السياسي والثقافي والإعلامي والديني على أساس أنهم بناء هذه الحضارة التي استقوت على العالم ، وأنها لأفضل الحضارات، وأن على الآخرين أن يسمعوا ويطيعوا بعد ذلك .. ينبغي أن نتساءل .. ماذا نقصد بالخطاب الديني ؟ لأن كلاماً كثيراً في الثقافة العربية والإسلامية مد البحث في الخطاب الديني إلى نصوص القرآن والسنة ، وهذه قضية غير مطروحة أمامنا ، ولنا على هذا المسلك تحفظ كبير نحن معنيون بأمر واحد محدد ، هو : أمر الخطاب الديني الذي يصدر من العلماء والدعاة والمفتين إلى جماهير المسلمين ، ثم الذي يصدر منهم بعد ذلك موجهاً إلى العالم الخارجي ، هذا هو لب المسألة لا نخلطه بشيء غيره " (١)

وقال السيد ياسين : "هناك في الخطاب الإسلامي المعاصر إدانة للحضارة الغربية ، وأوصاف سلبية للمجتمعات الغربية وكأنها مجتمعات كافرة وملحدة ومنحلة أخلاقياً ، وليس هذا صحيحاً . الحضارة الغربية نحن من صناعتها ، ولو لم تكن الحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر ما كانت الحضارة ، وليدرس من شاء ما حدث في الأندلس ، وكيف كانوا يبعثون بالرسول لتعلم اللغة

(١) المصدر السابق ص ٢٩ ، ٣٢ .

العربية، ونقل المخطوطات العربية وترجمتها إلى اللاتينية ، فالحضارة العربية الحديثة بمنهجها العلمي أخذت من الحضارة الإسلامية ، وبالتالي الحضارة الغربية حضارة إنسانية ، من حقنا أن نأخذ منها، ومن حقنا أن نرفض ، بشرط إعمال العقل النقدي . نحن إذاً أمام مشكلة تتعلق بفهم المجتمع المصرى ، وليس الإسلاميين فقط ، أو الدعاة فى فهمهم لطبيعة المتغيرات العالمية .

"لابد أن نتبع منهاجاً نقدياً ولا نخشى من العولمة ولا نبالغ فى آثارها ولن ننقدها ، بحيث نفهم قوانينها الحاكمة ، نفهم قبل التقييم ، هذا هو الشعار الذى نرفعه فى مواجهة هؤلاء المتعجلين الذين يقبلون العولمة بدون شروط ، أم يرفضونها على إطلاقها ، الفهم قبل التقييم

"وقد تغير المجتمع المصرى عبر الزمن ، وبالتالي تغيرت مكونات الخصوصية الثقافية ، واليوم عندنا مثلاً فى مصر تعليم البنات ، والمرأة خرجت للعمل ، ومنهن سفيرات وأستاذات ، فلا يأتى اليوم من يفتى ويقول : هل صوت المرأة عورة أم لا ؟ هذا عبث ، ولا يجوز تضييع وقت الأمة فى هذا .

" فالأستاذة فى الكلية تدرس لآلاف الطلبة والطالبات ، ثم يأتى من يقول : إن صوت المرأة عورة أم لا!!! هذا عبث وتضييع لوقت الأمة ، وهناك فتاوى عديدة يندش لها الإنسان ، كان يسأل شخص جاهل أسئلة تافهة ، ويضيع وقت من يفتيه ... " (١)

(١) المصدر لسابق ص ٤٣ وما بعدها .

وأبدي السفير نبيل بدر ملاحظات على الخطاب الإسلامى
كما ورد فى أدبيات غربية ، وهى :

- تفاوت الرؤى والتطبيقات لمفاهيم إسلامية .
- التناقض فى لغة الخطاب الإسلامى ، وكراهية عامة للغرب لعدة أسباب عممت بحيث ألصق بها أيضاً معاداة المسيحية بصفة خاصة ، فضلاً عن معاداة الديانات والعقائد الأخرى عموماً ، وزرع النفور أو رفض التعايش معها .
- تصور أن التضامن الإسلامى يعنى معاداة كل ما هو غير مسلم ، والتناقض بين القول بغير ذلك - كما هو فى صحيح الإسلام - وسلوكيات أو مواقف عملية أخرى .
- يؤخذ عليهم الاحتفاء بمظاهر التدين بعيداً عن الأبعاد السلوكية والحضارة الإسلامية ، واتساع الفجوة بين القول والعمل .

• الاضطراب فى معالجة المفاهيم الإسلامية تبعاً للمصادر التى يرد منها ، واختلاط ذلك بالعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة فى مجتمعات إسلامية بصرف النظر عن ضرورتها ، أو انتسابها لصحيح الإسلام .

• إن الإسلام كحضارة وثقافة فى إطار الفهم المتكامل للدين لم يحسن عرضه ، ووضعت حواجز بين ما صور على أنه ممارسة إسلامية صحيحة وبين ما هو فنون وآداب مشروعة .

• متابعة لآراء الفقهاء أحياناً مع عدم توافر الاجتهاد المناسب فى قضاياها ، وترديد الآراء والأساليب النمطية فى تناول قضايا حيوية مثل : الديمقراطية ، وضع المرأة ، حرية الفكر ،

اقبول بالآخر ، وإمكان التعامل معه ، والترحيب بما هو مشترك .. مما أدى إلى ثقافة محدودة، قد تبث الانعزالية وتعمق التناقضات، بما يضيف لمشاكل التحف التي تعانى منها أكثر المجتمعات الإسلامية .

● عدم تحديد الأسبقيات وترتيبها تبعاً لأهميتها في قضايا الدعوة .

● أسلوب تناول هذه القضايا بين الدعاة ، كما لو كان المسلمون هم المحور الوحيد في هذا العالم ، وعدم تكامل العرض لبعض القضايا ، وعرضها باعتبارها فقط قضايا بين مسلمين وغير مسلمين ، وعزلها عن مجريات الأحداث والواقع .

● الوضع الحالي يتيح استغلال هذا المناخ لزيادة المشاكل والفرقة بين المسلمين وغيرهم ، وإيجاد قاعدة للتحالف والعمل ضدهم بدلا من تقييد ذلك .

".....نأتى إلى تعقيب على ما ورد بالنسبة للفتاوى ، وأتصور أنه يرد في خضم موضوع الفتاوى قدر من الضبابية ، هذه الضبابية ربما تكون لعدم كفاية التناول كليا وتفضيلاً للقضايا الملحة - بما في ذلك قضايا المغتربين في الخارج - والحيوية على نحو متكامل وسليم ، وقد تكون ركوناً إلى الأسلم ، أو الأخذ بالأحوط . إنما نحن في زمن كثرت فيه القضايا ، ويتعين أن نواجهها مواجهة واضحة وصريحة ، كقضايا الديمقراطية ، وقضايا المرأة ، وقضايا حرية الرأي ، وقضايا موقع الفنون من الحياة

الإنسانية ... إلى آخر ذلك . أين موقفنا ؟ وكيف يمكن أن نخدده بحيث تزول فجوات الازدواجية في الشخصية الإسلامية ، وتقف على أرض سليمة جديرة بالخطاب الديني ؟ " (١)

ومن اللافت للنظر أن المتحدثين في هذه الندوة ، أو الذين أسهموا في هذه القضية بمقالاتهم الصحفية ، وتحقيقاتهم المنشورة في وسائل الإعلام لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في هذه المشكلة :

- أسبابها ، وأهدافها .
- جوانب القصور في الخطاب الديني ، وأسباب هذا القصور ، سواء في المناهج الدراسية ، أو في تأهيل الدعاة .
- طبيعة الفكر الإسلامي: مذهب، مدارس، تياراته الفكرية.

- تعدد الآراء في المسألة الواحدة ، والعلاقة بين هذه الآراء وبعضها ، وكذلك بينها وبين النصوص المقدسة ، ومتى يعتبر الرأي خروجاً على الإسلام ، ومتى يوضع داخل الإطار الإسلامي، حتى وإن خالف رأى الجمهور ، ومناقضاً لما يعتنقه الأكثرية ، ويتعامل على أساسه غالبية المسلمين ، سواء كان ذلك في العبادات أو في المعاملات والأخلاق .

لم أر بحثاً تناول هذه المسائل ، أو ركز على بعضها ، وإنما هو كلام مرسل ، لم أفهم منه إلا :

(١) المصدر السابق ص ٧٢ وما بعدها .

- ترديد كلمة " تطوير " الخطاب الديني ، وأحياناً يعبر عنها بتجديد بدل تطوير .
- العودة إلى الاستعانة بعلوم العصر واستخدام التكنولوجيا في مجال الدعوة .
- إضافة بعض العلوم العصرية إلى منهج الدراسة.
- عقد دورات تدريبية لدعاة ، دون بيان مضمون هذا التدريب ، وكيفيته .
- عرض عام وسريع في كلمات مرسلة لضعف المؤسسات الدينية ووصف مختصر لضعف الخطاب الديني .
- الدعوة إلى تقوية المؤسسات الدينية ، دون بيان السبيل إلى ذلك .
- بيان أن الإسلام يدعو إلى استعمال العقل ، دون توضيح مجالاته .
- هذا هو بعض ما فهمته من الحديث عن تطوير الخطاب الديني، سواء ما ألقى في الندوات والمؤتمرات، أو ما نشر في الصحف والمجلات ، وعلى صفحات وسائل التكنولوجيا المعاصرة، أو بث في الإذاعات المرئية والمسموعة .



ولكى نعالج الموضوع معالجة منهجية وشاملة، ينبغي أن نتناول نقاطاً عامة تتصل بالموضوع اتصالاً مباشراً بالبحث والبيان نوجزها فيما يلي :

أولاً : بيان الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامى

فالإسلام هو : نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية التى أجمع المسلمون بجميع مذاهبهم ومدارسهم الفكرية على صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ. أما الفكر الإسلامى فهو " المحاولات العقلية من علماء المسلمين لشرح الإسلام من مصادره الأصلية : القرآن ، والسنة الصحيحة :

١- إما تفقهاً واستنباطاً لأحكام دينية فى صلة الإنسان بخالقه فى العبادة ، أو فى صلة الإنسان بالإنسان فى المعاملات، أو لمعالجة أحداث جدد، لم تعرف بذاتها فى تاريخ الجماعة الإسلامية - على عهد الرسول ﷺ وعهد صحابته - أو تبريراً لتصرفات خاصة صدرت وتمت ، أو تصدر تحت تأثير عوامل أخرى .

٢- وإما توفيقاً بين مبادئ الدين وتعاليمه من جانب ، وفكر أجنبية دخلت الجماعة الإسلامية من جانب آخر ، بعد أن قبّلت هذه الفكر كمصدر آحر للتوجيه .

٣- أو دفاعاً عن العقائد التى وردت فيه ، أو ردّاً لعقائد أخرى مناوئة لها ، حاولت أن تحتل منزلة فى الحياة الإسلامية العامة لسبب أو لآخر. ^(١)

(١) محمد البهى : الفكر الإسلامى فى تطوره ص ٧.

أى أن الفكر الإسلامى هو جميع ما أنتجه المسلمون حول
المصدرين : القرآن الكريم والسنة النبوية من :

- تفسير للقرآن الكريم .

- شرح الأحاديث النبوية وبيان درجتها .

- الأحكام الفقهية .

- كل ما كتبه المسلمون فى مجال الدراسات الإسلامية .

ويعبر عن هذا كله بـ : " التراث " . فالتراث ليس هو

الإسلام ، وإنما هو إنتاج العقل البشرى ، طبقاً لما فهمه من نصوص
قرآنية غير قطعية الدلالة .

يتضمن التراث آراء المفسرين والفقهاء فى تفسير النصوص

القرآنية وهى كثيرة ومتعددة، بحيث يصعب على المرء - إن لم يكن

مستحيلاً - أن يجمع بينها . وقد قبلها المسلمون ، وعاشوا بها،

على أساس أن للمسلم أن يختار منها ما يتناسب مع ظروفه

وأحوال معيشته ، ويطمئن إليه قلبه ، ويرتاح به ضميره ، دون أن

يرمى من يختار الرأى الآخر بالكفر ، أو يصفه بالفسوق ، وذلك

استناداً إلى قول رسول الله ﷺ " .. استفت قلبك وإن أفطوك

... " ، فالقلب هو الذى يفضل رأياً على آخر - لو تساوى الرأيان

فى أدلتسهما ، أو لو كان المرء من غير المجتهدين - ، ويختاره

ويلتزم به فى سلوكه وعبادته حتى العلماء أنفسهم -

أصحاب الآراء المتعددة - لم يحزموا جزءاً قاطعاً بأن آراءهم

الفقهية - أو تفسيرهم للآيات - هى الحق المطلق ؛ فقد روى عن

الشافعى رحمه الله أنه قال : " رأى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى

خطأ يحتمل الصواب . " كما لم يتعصب أحد - فى الغالب الأعم -

لرأيه مستكراً آراء الآخرين ونغياً لها فقد روى عن أبى حنيفة

قوله : " علمنا هذا رأى ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن قدر

على غير ذلك ، فله ما رأى ، ولنا ما رأينا . "

ولهذا ينبغي على العلماء والمفتين أن يراعوا الأحوال والظروف المختلفة، ويعلموا الناس بالآراء التي تعينهم على مواصلة الحياة دون عنق أو إرهاب، حتى وإن كان العالم أو المفتي لا يميل إلى الرأي الملائم لحال السائل أو المستمع، لأن إخضاع الناس لمذهب المفتي، أو لما يميل إليه شخصياً انحرف عن المسار الصحيح للدعوة، وإجبار الناس على اعتناق مذهب دون آخر، فالتراث ثرى بالآراء المتعددة في المسألة الواحدة، وليس هذا جانباً سلبياً في التشريع الإسلامي، بل هو ظاهرة إيجابية تدل على أن الإسلام دين علمي، لكل الناس، على اختلاف زمانهم ومناطقهم الجغرافية، وتعدد أساليب حياتهم؛ فلو كانت الآيات القرآنية "كلها" قطعية الدلالة^(١) لكان الإسلام ديناً محلياً يناسب المجتمع الذي تلائم الأحكام القطعية أسلوب حياته وزمانه دون غيرها من المجتمعات الإنسانية.^(٢)

(١) في القرآن الكريم آيات قطعية الدلالة، لكنها قليلة جداً لا تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة.

(٢) لم يصل كثير من المتحدثين باسم الإسلام في هذا العصر إلى درجة من الثقافة والمعرفة تمكنهم من فهم واقع المجتمعات الإنسانية المعاصرة، أو التفريق بين ما يتحتّم الأخذ به في الظروف نراهنة، وما ينبغي رفضه، فلا يجوز السماح بوجوده في المجتمعات الإسلامية، بأي حال من الأحوال، مما دفعهم إلى رفض كل ما يتعلق باحضارة الحديثة، حتى ولو لم يكن له تأثير سلبي على الجانب الديني؛ أنكروا التعامل مع كل مظهر حضاري، حتى وإن لم ينكره الدين أو يحرمه. وضعوا قيوداً على سلوك الناس اعتماداً على رأى فقيه، وليس استناداً إلى نص صريح. اتسمت فتاواهم بالتضييق وتقييد حرية الناس، على الرغم من النصوص الصريحة التي تبين أن الله لم يجعل على الناس حرجاً في الدين، بل هو تهذيب وتقويم في إطار السهولة واليسر.

ولهذا يجب على الداعية أن يلم بكل ما قاله العلماء في تفسير الآية ، وبما استنبطه الفقهاء منها : من أحكام متعددة ، ثم يختار منها ما يلائم المجتمع الذى يخاطبه ، ويتلقى منها ما يلائم ظروف من يستفتيه ، ولا يدخل مع العامة في سرد الآراء المتعددة عليهم ، لأن في ذلك تشويشاً لعقولهم فتضطرب نفوسهم ، ويهتز إيمانهم بتسرب الشك إلى قلوبهم من جراء ما يسمعون ولا يفهمونه .

- كان هذا الموقف من بعض رجال الدين سبباً في تمسك الداعين إلى تعمانية موقفهم ، إذ أعصابهم لتدليل على أن الدين لا يصح بحجة المعاصرة التى اتسمت بسرعة التغيرات ، وكثرة المستجدات في جميع المجالات ، فلا يمكن التوفيق بين التمسك بصيغ قديمة تعوق حركة تقدم ، أو تقف حائلاً بين مجتمع وبين الانطلاق في طريق الرقى والخضارة . وبما دعم به هؤلاء موقفهم ما اشتهر بين المتطرفين من مواقف يعتبرها صفة الأمة من المثقفين غير مقبولة على الإطلاق في المجتمع المعاصر ، وخاصة فيما يتعلق بمجال السياسة والحكم . ومن أشهر هذه المواقف ما يراه بعض رجال الدين من أن الشورى التى نص القرآن الكريم على أنها من الصفات اللازمة للمجتمع الإسلامى غير منزومة للحاكم ، إذ يعتبر العمانيون هذا الموقف منافياً للديمقراطية التى تعارفت المجتمعات في العصر الحديث على أنها لأسلوب الأمثل - على الأقل في العصر الحاضر - في إدارة شؤون حكم . فإذ جاء من مجردها من مضمونها لاساسى . ويعصل مفعولها لأصلى ، فإن من الطبيعي أن يجد معارضة قوية ، حتى ولو تدثر بثياب الإسلام ، فما بالك برأى ليس له وزن في مجال الفقه الإسلامى ، حتى وإن تمسك به من يصف نفسه بأنه فقيه . لكن العمانيين تلفقوا هذا الرأى ورفعوه سلاحاً يخيفون به من يفكر في الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في مجال الحكم ، إذ ارتفعت أصواتهم بأن عمداً معناه ديمقراطية دينية ، ما دام الحاكم ليس مُنَزَّماً برأى من يستشيرهم .

وعليه فيجب أن يتضمن برنامج إعداد الدعاة توضيح هذا الجانب وبيانه لهم، مع التأكيد على أن الداعية هو كالطبيب يصف لكل داء دواءه ، ويعطى لكل مريض ما يساعده على الشفاء ، فلا يتكلم إلا بما يصلح الناس، ولا يتناول مسألة إلا إذا ألم بكل ما قاله العلماء فيها ، ويكون حديثه ملائماً للسامعين ، متفقاً مع ثقافتهم ووضعهم في المجتمع، وله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان رسول الله ﷺ يخاطب كلاً على قدر ما يفهم ، ويوجه السامعين حسب ظروفهم وأحوالهم ؛ فقد ورد أن رجلاً يدعى الحصين ، كان ذا مكانة بين قريش ، أرسلوه يوماً إلى رسول الله ﷺ ليكلمه حتى ينتهى من دعوته ، فلما جاء إلى النبي ﷺ قال : أوسعوا للشيخ ! فقال الحصين : ما هذا الذى بلغنا عنك، أنت تشتم أهتنا وتذكرها؟ ، فقال رسول الله ﷺ : يا حصين، كم تعبد من إله؟ ، قال : سبعة فى الأرض وواحد فى السماء ، فقال رسول الله ﷺ : فإذا أصابك الضر، لمن تدعو؟ قال: الذى فى السماء ، قال رسول الله ﷺ : فإذا هلك المال ، من تدعو؟ ، قال: الذى فى السماء ، قال رسول الله ﷺ : فيستجيب لك وحده ، وتشرك معه؟ أسلم تسلم ... فأسلم الحصين ...

فإذا فهم الداعية أن فى التراث آراء متعددة ، وأنها كلها ، يمكن أن يختار منها ما يصلح للناس ، كل حسب ظروفه وأحواله، وأن هذه الظاهرة إيجابية فى الإسلام ؛ لأنها دليل على أنه صالح لكل زمان ومكان ، وأنه ينبغى أن يبرز من الآراء ما يناسب المجتمع الذى يخاطبه ، كان ذلك خطوة مهمة على طريق تصحيح مسار الخطاب الدينى .



ثانياً : البعد عن الأساطير والخرافات

الأساطير : جمع أسطورة ، وهي الحديث الذى لأصل له ، يقال : إن هذا إلا أساطير الأولين ، أى ما سَطَّرَ من أعاجيب أحاديثهم ، وقيل : الأساطير = الأباطيل ، يقال : سَطَّرَ فلانٌ علينا، يُسَطِّرُ : إذا جاءنا بأحاديث تشبه الباطل .

والأساطير : قصص كانت الشعوب تحكيها قديماً فى بعض المناسبات ، وتعتقد أنها قصص حقيقية ، تروى وقائع وأحداث حصلت بالفعل فى يوم من الأيام الماضية ، وهناك فئات من الناس فى سائر أنحاء العالم مازالت إلى يومنا هذا تحكى هذه القصص فى بعض المناسبات، وتعتقد أنها قصص تروى وقائع حصلت بالفعل فى الماضى، على الرغم من أنها لا أصل لها ، فهى من الأباطيل .

والخرافات الشعبية هى قصص وحكايات تعودت النساء فى سائر أنحاء العالم أن يحكيها للأطفال فى السمر والليل ، وقد يحفظ الأطفال عنهن هذه القصص فيقصونها لبعضهم البعض .

ويتضمن التراث الإنسانى كثيراً من هذه الأساطير والخرافات (١) ، وهى تحكى - غالباً - فى المناسبات والتجمعات ، ويستحسنها كثير من الناس لغرابتها وأحداثها المشوقة، وقد وردت فى الفكر الدينى واحتلت مساحة واسعة فيه ، لأن المبشرين والدعاة لجأوا إليها

(١) راجع : دراسات فى الأساطير والمعتقدات الغيبية لـ : صالح بن حمادى .

للتأثير على مشاعر العامة ، وتوجيههم إلى القيم والمبادئ التي يدعون إليها ، غير أن بعض رجال الدين الذين لم يفهموا الغرض الذي من أجله دخلت هذه الأساطير والخرافات إلى الفكر الديني ، حدثوا الناس بهذه الأساطير على أنها جزء من الدين ، وأنها من خوارق العادات الملحقة بمعجزات الأنبياء والرسل ، فترتب على ذلك تغييب العقل ، والميل إلى تصديق هذه الخرافات ، وقبولها على أنها حقيقة وقعت بالفعل ، فتكروا للتفكير العلمي ، وأهملوا الأخذ بالأسباب ، متوقعين أن يحدث لهم مثل ما حدث في هذه الأساطير ، لإخراجهم مما هم فيه من أزمات وكوارث .

دخلت هذه الأساطير والخرافات الفكر الإسلامي ، واحتلت مساحة واسعة فيه ، لدرجة أن من ينشرونها في المجتمع يلبسون ثوب الدعاة ، ويدعون أنهم يعتمدون في نشر أفكارهم على القرآن الكريم ^(١) فانتشرت الخرافات في المجتمعات الإسلامية ^(٢) ، وخاصة في وقت الأزمات . هذه المعتقدات تظهر في القرن الواحد والعشرين ، ويؤمن بها كثير من المسلمين ، ليس فقط محدودو

(١) يحتوي كل دين على قصص وحكايات خرافية ، لأن نسبة كبيرة في المجتمعات الإنسانية غير مؤهلة علمياً لفهم القيم الدينية مجردة ، فكان من الضروري أن توضع في قصة لتقريب مضمونها لنعامة من الناس ، وجاءت هذه القصص في الأديان كلها بصورة لا يمكن تأويلها علمياً ، أما الإسلام فما جاء فيه متعلقاً بهذا الباب ، يمكن للعامية أن يفهموه على نحو أسطوري ، كما يستطيع المفكر - فيلسوفاً كان أو فيزيائياً أو اجتماعياً ... أو ... أو... إلخ - أن يفسرها طبقاً للمفاهيم العلمية .

(٢) كتخصير الأرواح ، ومس الجن ، والاتصال الجنسي بين الإنسان - ذكراً كان أو أنثى - وبين الجن ، والعلاج بالقرآن ، والسحر وغير ذلك من المعتقدات التي كانت شائعة لدى الشعوب البدائية .

القافة مهم ، بل يعتقد في صحتها كثير من المثقفين الذين بلغوا
درجة عالية في عالم الفكر والثقافة .

كان من واجب الدعاة محاربة هذه الظاهرة الخرافية التي لا أصل
له في الإسلام ، ولكن - للأسف الشديد - يؤمن بها كثير من
الدعاة ، ويعملون على نشرها ، معللين ذلك بأن اشتغال الوعظ
عنى هذا النوع من القصص يجذب الناس إليهم ، ويهيئهم لسماع
التعاليم الدينية ، وهذا صحيح لو كانت الجرعة من هذه القصص
محسوبة بالتقدير الذى لا يؤثر على عقلية الناس ويغييهم عن
الواقع ، ولا يغرس في نفوسهم الكسل وعدم العمل، والبعد عن
اتخاذ الأسباب في عمهم وحياتهم انتظاراً لمعجزة تحدث لهم
كما حدثت لأبطال القصص الخرافية التي آمنوا بها وصدقوها
على أنها حقيقة وقعت بالفعل، وليست خرافة قصد بها من
أول الأمر التسلية. وهذا أمر ينبغى على القائمين على تأهيل الدعاة
مراعاته^(١)، حتى يستقيم فكرهم ، فلا يستغرقون في سرد هذا
النوع من القصص المثبطة للمسلمين ، والمغية لعقولهم وتفكيرهم ،
وبذلك يسهمون في تصحيح الخطاب الدينى .



(١) فليس في القرآن الكريم خرافة ، وإنما دخلت هذه القصص في الفكر
الإسلامى عن طريق تفسير القرآن الكريم والملاحم والسير وعند من
تصدوا لشرح قصص القرآن الكريم ، وأوضح مثال على ذلك : قصص
القرآن للتعللى .

ثالثاً : تاهيل الدعاة

إن أهم خطوة على طريق تصحيح الخطاب الديني ، هي وضع منهج كامل وشامل ، يحتوى على العناصر التي تؤهل الداعية للقيام بواجبه في مجال الدعوة الإسلامية على الوجه الأكمل في المجتمع المعاصر ، بحيث يكون قادراً على فهم التيارات الفكرية ، ومدرکاً لآفاق الآراء المتعددة داخل إطار الفكر الإسلامي ، يعرف متى ، وكيف ، وأين يعرض القيم الإسلامية ، ويشرح التعاليم والأحكام الفقهية ، ويدرك الفرق بين المناهج التي بينها القرآن الكريم ، وكيفية استخدام كل منهج طبقاً لوضع المستمعين : فكرياً ، وثقافياً ، واجتماعياً .

وتتلخص العناصر الرئيسة لهذا المنهج فيما يلي :

١- إعداد الدعاة إعداداً جيداً وذلك بـ : تطوير مناهج

إعداد الدعاة في الجامعات الإسلامية ، بحيث تشتمل على :

أ. منهج الدعوة :

ومفرداته :

١- مناهج الرسل في الدعوة إلى الله [اختلاف المناهج بسبب

التفاوت الثقافي ، والبيئي ، والزمني للمدعويين . تنوع الأدلة

بسبب نوعية المدعويين ، وتعدد أساليب معارضتهم للدعوة . .

٢- منهج القرآن الكريم :

أ- الحكمة [استخدام الأدلة العقلية مع غير المسلمين ، مع الاستشهاد بأحداث التاريخ ، ومناهج البحوث الاجتماعية والعلمية في مجالات الكون والطبيعة والإنسان] .

ب- الموعظة الحسنة [مخاطبة النفس والوجدان ، مع الاستعانة بنتائج علم النفس والأخلاق والاجتماع . شرح المبادئ والأحكام الإسلامية في مجالات: العبادات ، والسلوك الإنساني ، والنشاط في تعمير الأرض ، وتحسين البيئة] .

ج- المجادلة والتي هي أحسن [بالمناظرة مع المعاندين والمشككين بأسلوب عقلي مستعينا بالفلسفة والمنطق وعلم النفس وغيرها مما يساعد على إقناع الخصم ... شرح كيفية مواجهة من لا يقتصر على المعارضة النظرية: كالجهد بكل مامن شأنه الدفاع عن الإسلام، والصمود أمام من يعتدى على المسلمين وحرمتهم ومقدساتهم .

٢- الدعوة ووسائلها :

أ. التعريف بالدعوة :

١ - المضمون : [العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق] .

٢ - الهدف : [تبليغ شرع الله للناس] .

٣ - الغاية من التبليغ : [إقناع غير المسلمين بالإسلام ،
وتثقيف المسلمين بالأمر الشرعي ، وحثهم على تنفيذ أوامر الله
واجتناب نواهيه]

ب - صورها : الكلمة المنطوقة ، ومن أهم أنواعها :

- ١ - الخطبة ، المحاضرة ، الدرس .
- ٢ - الكلمة المكتوبة ، ومن أهم أنواعها : الكتاب ، المقال ،
البحث ، القصة ، ويدرب الطالب على كيفية ممارسة هذه الأنواع .
- ٣ - آلات وأماكن التبليغ : المسجد ، مؤسسات التعليم
والتثقيف [المدرسة ، الجامعة ، الأندية ، الجمعيات ، المراكز العلمية
والاجتماعية والثقافية] الإذاعة ، التلفزيون ، شبكات الاتصال
الحديثة . ويدرب الطالب على تنوع الأسلوب بحسب المكان
ووسيلة الاتصال مع المدعوين .

٣ - السلوكيات :

- أ - سلوك الفرد : [النظافة والهئية بشكل عام ، النظام ،
الالتزام]
- ب - وضع المجتمع : [التقدم في جميع المجالات العلمية ، الحرص
على تطبيق القيم الإنسانية : حرية الرأي والعقيدة ، حقوق
الإنسان ، العدل ، المساواة ، التكافل الاجتماعي ، التعاون ،
مساعدة الضعفاء إلخ .

٤ - دراسة القضايا الفكرية المعاصرة التي لها صلة بالدعوة مع بيان أسباب ظهورها وتداعياتها ، وكيفية التعامل معها ، وأساليب مواجهتها، مثل: الأصولي، التطرف، الإرهاب، التكفير والمجرة ، التعصب للرأى ، قبول الرأى الآخر..... الخ

٥ - رفع مستوى الدعاة فى مجال المواجهة ، وذلك :-

- بتبصيرهم بحقيقة ما يوجه إلى الإسلام من تهمة ، وكيفية الرد عليها .
- بيان أبعاد الهيمنة الثقافية المتخفية وراء العولمة، وكيفية مواجهتها والتعامل معها .
- توضيح العلاقة بين العلم - وما ينتجه من نظريات ومستحدثات - وبين الدين .
- إلقاء الضوء على العلاقة بين النص والعقل ، وموقف الإسلام من الحضارة ، مادية كانت أم معنوية .
- رفض تفسير تعاليم الإسلام طبقاً لهوى المناوئين للإسلام ومصالحهم .
- التركيز فى الدعوة على : السماحة ، التيسير ، احترام الآخر ، تقديم الأهم على المهم ، تقديم الأصول على الفروع ، البعد عن الخرافات ، عدم الانفصال عن الواقع..... إلخ
- وعلى الأقسام العلمية توزيع هذا البرنامج على سنوات الدراسة فى المرحلة الجامعية ، مع إضافة التفصيلات والتفريعات إن لزم الأمر .

٦ - نوعية الدعاة :

التدقيق في اختيار الطلاب الذين سيؤهلون للقيام بالدعوة ،
وذلك باختيار الممتازين دراسياً ، والذين يتمتعون بالخلق الطيب ،
والهيئة الحسنة المؤثرة في نفوس المدعوّين ، والموهبة في الصوت ،
والذكاء ، وحسن التصرف في المواجهة مع الجماهير .

ويمكن جذب من يتمتع بهذه الصفات إلى الدراسة في
الكليات المتخصصة عن طريق رصد مساعدات مالية لمن يدرس
في الكليات المتخصصة في إعداد الدعاة ، أو تسكينهم
وإعاشتهم من صناديق خاصة ، تُموّل من أموال الزكاة ، أو من
تبرعات ، يعلن عنها للمسلمين : أنها تخصص لإعداد الدعاة .



رابعاً : الحث على العلم والاجتهاد

يدعو الإسلام إلى العلم ، لأنه مفتاح التقدم والازدهار ، ويقدم حرية الإنسان كى يصون كرامته ، ويحمى إرادته ، ليصبح قادراً على توظيف علمه وثقافته لخدمة نفسه ومجتمعه ، فيختار ما يقتنع به ويرضى عنه ، ويبني حياته دون ضغط أو إكراه ، ومن كان هذا شأنه :

- استقام أسلوبه في العمل ، فلا تخاذل ولا تكاسل ، ولا إهمال ولا تهاون ، بل جد ومثابرة ، وإتقان وإبداع .

- واستوى سلوكه مع نفسه ، وحسن تعامله مع الآخرين ، فلا نفاق ، لأن بذرة النفاق تنبت في مجال انعدام الحرية ، وهو يتمتع بها ، وتزدهر في محيط الخوف والرعب ، وهو لا يخاف أحداً ، إلا الله ، لأنه تسلم بالعلم ، وتحصن بالحرية في جميع مجالات حياته ، فهو حرّ في اختيار عقيدته ، وصاحب إرادة في سلوكه ، ويتمتع بحرية التعبير عما يميل إليه في ظواهر المجتمع ومشكلاته .

على هذا المنهج ترى المسلمون الأول ، فكانوا من أحسن العناصر التي كونت المجتمع الإسلامي الأول ، عبروا عن آرائهم حتى ولو كان مخالفاً لرأى رسول الله ﷺ فيما يتعلق بشئون الحياة؛ فقد روى أن الحباب بن منذر بن الجموح اعترض على ما ارتآه الرسول ﷺ في منازل الجيش في غزوة بدر، فقال: يا رسول الله ! رأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلك الله تعالى ، ليس لنا أن

نتقدمه ، ولا نتأخره ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فرد عليه الرسول ﷺ بأنه الرأى والحرب والمكيدة ، فقال الحباب : يا رسول الله ! هذا ليس بمثل ، فامض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فتنزله ، ثم تغور ما وراءه من القلب ، ثم تبنى حوضاً فتملوه ماءً ، ثم تقابل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فاختار الرسول ﷺ ذلك المنزل ، وأخذ برأى الحباب بن منذر ، ونفذه كاملاً .

كذلك اعترضت امرأة على فُتْيَاهِ ﷺ حين اشتكت إليه أن زوجها قد ظاهرها، فقال لها: قد حرمت عليه، فجادلته، وحاورته، فنزل قول الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۗ ﴾ (المجادلة : ١)

كان التعبير عن الرأى بحرية معلماً من معالم المجتمع الإسلامى، وسمه من سماته الأصلية ، يشهد على ذلك ما نراه فى كتب التراث من آراء متعددة فى المسألة الواحدة ، واتجاهات تكاد تكون متعامدة فى تعاليم الإسلام وشرائعه ، ابتداءً من الأمور التى تتعلق بمصالح عبادة مروراً بالعبادات..... حتى مبادئ العقيدة نفسها ، اختلف فى تفسيرها وتأويلها أكابر العلماء ومؤسسو المذاهب العقيدية والفقهية .

تقبل المجتمع هذه الظاهرة وتعامل معها بفكر وروية ، فاختار كل ما يروق له من الآراء ويضمن إليه ، ودافع أصحاب الآراء عن آرائهم بالحجج والأسانيد، ودحض أدلة المخالفين وتأويلاتهم،

دون أن يُكفَّرَ أَحَدٌ الْآخَرَ - إلا ما ندر - ؛ إذ كان الطابع العام هو مناقشة الحجة بالحجة ، ودعم الرأي بالأسانيد والأدلة ، ومن خرج عن ذلك إلى الطعن والتكفير ، طواه التاريخ ، وأهملته ذاكرة الأمة ، فلم يترسب في ذاكرتها إلا من أسس مذهبه على أدلة واضحة ، وتجاوز مع الآخرين باحترام وأدب ، وسادت مناقشة العلماء المقولة الشهيرة : رأي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب " ودعا الشافعي - رحمه الله - إلى عدم التعصب للرأي بقوله: "إذا صح الحديث فاضربوا بمذهبي عرض الحائط".

كانت هذه هي الروح العلمية السائدة - باستثناء حالات هنا وهناك - في المجتمع الإسلامي الأول :

- تحصيل العلم هو القيمة العليا في المجتمع .
- تسانده وتوازره ، وتنميته وترعاه : حرية التعبير .
- ويحميه ، ويزود عنه ، ويحافظ عليه : احترام الرأي الآخر، والدفاع عن حرية الآخرين في التعبير عن آرائهم ، مهما اختلف المرء معهم .

وبذلك شيد المسلمون صرحاً حضارياً ظل مفخرة لهم على امتداد التاريخ حتى اليوم... فحين يحس المسلم بالمهانة يتذكر ما بناه أسلافه في جميع مجالات الحياة ، ويظل يجتر تاريخ أجداده دون كلل أو ملل ، لأنه يجد في ذلك راحة نفسية ، ويشعر بنوع من إثبات الذات بين العمالقة في المجتمع المعاصر .

لم يخفت نور الحضارة الإسلامية، ويتلاشى بهاؤها وضياؤها إلا عندما احتفت هاتان الظاهرتان من المجتمع الإسلامي، حيث أصبح تحصيل العلم تكراراً لما قاله السابقون ، واجتراراً لما تركه الأولون . وليت الأمر يقتصر على ترديد كل ما أنتجه الأول من أفكار ونظريات، بل اقتصر على التمسك بآراء لم يكن لها صدى في المجتمع الإسلامي الأول ؛ إذ كانت ضعيفة ، ولا يمثلها سوى حفنة صغيرة ممن استعلق فهمهم ، وجمدت قرائحهم . وكان وجود مثل هذه الآراء بين الاتجاهات الفكرية التي قادت الأمة إلى بناء نهضتها وحضارتها ، علامة على حرية الفكر ، ودليلاً على سيادة مبدأ احترام حرية الآخرين في التعبير عن أفكارهم ، حتى ولو لم يكن لها سند يقويها ، وذلك هو المناخ الذي يؤهل الأمة - أمة أمة ، مهما كانت عقيدتها - لأن تتبوأ مكاناً مناسباً في صفحات التاريخ ، بما تهيئه لها هذه الحرية الفكرية من قدرة على البناء والتشييد في مجالات الحياة .

لو اقتصر ترديد الأمة على كل ما كان موجوداً على الساحة الفكرية ، لوجدنا من بينها ما يدفعنا إلى الأمام ، حتى ولو كان التحرك إلى الهدف بطيئاً ، ولكن للأسف الشديد ، ردد العلماء آراءً ضعيفة ، واجتروا مفاهيم ليس لها من القوة ما يساعد الأمة على الاستمرار في نهضتها ، فتوقفت حركتها ، بل تراجعت ، حتى سقطت في هاوية التخلف :

- فألفت التحجر على الأفكار الضعيفة ، رافضة محاولات الفهم لقضايا العصر والاجتهاد في تأويل النصوص لدفع المسيرة إلى الأمام .

- ورفضت كل ما هو جديد دون النظر فيه ، أو الالتفات إلى أهميته في دفع مسيرة الحياة إلى الأمام .

- رفضته بحجة أنه بدعة اعتماداً على موروث مشكوك في صحة نسبه إلى رسول الله ﷺ .

- ونقبت في ثنايا الذات عن كل ما يدعو إلى التقوقع على الذات ، ويدعم الانكفاء إلى الوراء ، ويؤيد الداعين غلق كل نوافذ الثقافة ، بحيث لا يتسرب منها إلى داخل المجتمع الإسلامي أى شعاع ، يأخذ بيد المسلمين إلى التقدم والازدهار .

وفي سبيل الدفاع عن هذا الاتجاه جردوا كل أسلحتهم لقمع كل من يخالفهم الرأي، أو يحاول إلقاء الضوء على جوانب مضيئة في التراث ، تهدد مواقعهم ، وتزعزع وضعهم في المجتمع كمتحدثين باسم الإسلام . ولما كانت بضاعتهم الفكرية لا تقوى على الصمود أمام الفكر المستنير - الذي يدعو إلى فتح باب الاجتهاد ، فيفحص التراث ، ليأخذ منه ما يلائم عصره ، فإن لم يجد استخدم عقله في فهم النصوص ، معرضاً عن الآراء الضعيفة ، داعياً إلى مراعاة ربط فهم السلف للنص بملاسات الحدث ، ووضعه في إطاره التاريخي - استخدموا سلاح التكفير ضد كل من يخالفهم ، حتى ولو كان موضوع الخلاف لا يتجاوز

مرتبة السنة ، أو يخرج عن دائرة المحسنات، أى أنه ليس فرضاً، ولا سنة مؤكدة .

وليس اتهام المخالفين لهم مقصوراً على محدودى الثقافة منهم، بل سمة عامة فى صفوفهم ، اتخذوه سلاحاً ضد كل من يعارضهم، خوفاً على ضياع هيبتهم أمام العامة ، ودفاعاً عن مراكزه الاجتماعية ، ووضعهم الاقتصادى، ولذا رأينا قاداتهم، وأولو الرأى منهم يكفرون من يختلف معهم فى الرأى، ويهددونهم بقطع أرزاقهم، كلما كان ذلك متاحاً لهم ؛ فقد حضرت ندوة فى إحدى جامعات دول الخليج ، اشتد فيها النقاش بين أحد رموز الجماعات الإسلامية "الكبار" وبين أستاذ جامعى ، خرج من صفوف جماعتهم ، لأنه رأى فيها اعوجاجاً عن طريق الإسلام، ولحظ فى تصرفات أعضائها ما يخالف تعاليم الإسلام ، مما جعله يقارن بين أقوالهم وأفعالهم، فتوصل من هذه المقارنة إلى أنهم لا يلتزمون بالإسلام ، كما يدعون إلا بمقدار ما يخدم مصالحهم ، ويحافظ على وضعهم الاقتصادى .

اشتد النقاش بين هذا الأستاذ الجامعى وبين "قطب" الجماعة الإسلامية، حتى حصره الأستاذ بالأدلة القرآنية التى تدحض ما ذهب إليه هذا الذى يطلقون عليه لقب "المفكر الإسلامى الكبير"، فلما لم يجد مفرأً ، أطلق وعيده وتهديده ، وكان مما قاله : "إن من يقول بهذا الرأى ليس له مكان فى كليتنا ."

ومن الغريب أنه يدلى فى كثير من المناسبات أنه رجل عصرى، يفهم الإسلام بروح العصر، ويدعو إليه بأسلوب يتفق مع معطيات

المجتمع المعاصر ... قد يكون ذلك في بعض مواقفه التي لا تمس وضعه الاقتصادي ، أو في حالات يريد أن يظهر فيها أمام محدثيه ، أنه ليس مترمناً ، أو أنه يفهم من علوم العصر ما لا يدركه أقرانه . فليست هذه المواقف "الموسمية" سمة عامة لديه ، بل هي ومضات ، لا تلبس أن تحتفى وراء تكوينه الثقافي ، وأسلوبه الذي تربي عليه بين صفوف هذه الجماعات ، ناهيك عن أن أسلوبه في التهديد لا يقره الإسلام ، أين ما فعله مع هذا الأستاذ فيما بعد (استعدى عليه جهات الأمن في هذا البلد ، حين أعيته الحيلة مع إدارة الجامعة، حتى استصدر قراراً أمنياً بإنهاء عقده) مما كان يفعله الرسول ﷺ مع أصحابه ، وحتى مع أعدائه ، ألم يقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ . (المائدة : ٨) .

إن تقديس آراء السابقين مخالف لروح الإسلام وتعاليمه ، ومناقض لما أثير عن الرسول ﷺ من حث المسلمين على الاجتهاد في فهم النصوص ، ومتعارض مع أهم مبدأ قامت عليه الحضارة الإسلامية التي يتغنون بها حتى الآن، ألا وهو حرية الرأي واحترام رأى المعارضين ؛ إذ لو لم يوجد هذا المبدأ في المجتمع الإسلامى ما قامت لهذه الحضارة قائمة ، ولا شاهدنا تلك الإنجازات التي يفخر بها المسلمون أمام شعوب العالم ؛ فلا قيام لحضارة في جو الإرهاب الفكرى، ولا مكان للتقدم والرقى إلا إذا تصارعت الأفكار، وتدافعت لرؤى المختلفة في ساحات العمل،

وتنافست قوى الإبداع فى مجالات الفن والابتكار ، وهذا ما هياه الإسلام للمسلمين الأول ، بإرسائه لمبدأ الحرية فى جميع مجالات الحياة ، لا يجد منها إلا ما اتفق الجمهور على ضرورة الالتزام به ، ولا يقيدھا إلا ما كان لازماً لسلامة المجتمع . مبدأ إسلامى عام : "لا إكراه" ، حتى ولو ترتب عليه عدم الإيمان به ، فالإنسان حر فيما يعتقد، وفيما يعمل ، وفيما يجب، لا يجد من حرّيته إلا النظام العام للحياة ، فلا ضرر ، ولا ضرار ، وما عدا ذلك فهو حر حرية كاملة .

أما ما ينادى به من يتصدرون قوافل الدعوة الإسلامية من وجوب الاتباع لرأى معين دون غيره من الآراء فهو مخالف لتعاليم الإسلام ، بل هو ارتداد إلى ما كان يمارسه الكهنة ورجال الدين قبل الإسلام من تأويل للنصوص المقدسة تأويلاً يجعل المؤمنين أداة طيعة فى أيديهم يوجهونهم حيث يشاءون ، تارة بالإرهاب والتخويف، وأخرى بإيهامهم أن أمل النجاة منحصر فى طاعة أوامرهم ، وتنفيذ ما يُطلب منهم بصرف النظر عما يُخَلّف هذا العمل من آثار ، فهم فى طاعة الله ماداموا فى طاعة هذا الكاهن ؛ لأنه أوهمهم أنه لا يتكلم إلا باسم الله ، ولا يأمرهم إلا ببناءً على وحى الله المنزل على رسله ، فإذا اعترض بعض المؤمنين على بعض آرائهم رموه بالكفر والزندقة ، وطرده - طبقاً لما يدعيه هؤلاء الكهنة - من رحمة الله .

أليس ما نشاهده اليوم على الساحة الإسلامية من فرض
الرأى بالقوة، ومحاربة المخالفين في أرزاقهم، ورميهم بالكفر والزندقة
هو بعينه ما كان يفعله الكهنة ورجال الدين قبل الإسلام؟

ألا يعتبر تخويف الإنسان من كل ما يحيط به، وتكويله بطقوس
في كل حركاته وسكناته - حتى أصبح عبداً لأساطير وخرافات
لا تمت إلى الإسلام بصلة - إلى أن صار عاجزاً عن الإبداع
والابتكار، ومُعَوِّقاً في كل مجالات المنافسة الحضارية المعاصرة ، مما
جعله أشبه بالإنسان البدائي التي حاصرته تعاليم السحرة والكهنة،
فمسخته دمية في يد من يدعى أنه يملك أسرار ما حوله ؟
ألا يعتبر هذا ردة إلى وضع الإنسان في العصور الأولى الذي
جاءته الأديان لتخلصه منها ؟

جاءت الرسائل السماوية لتحرر الإنسان من الخرافات
والأساطير، ولترد إليه كيانه وذاته؛ فمنحته الحرية في التعبير والاعتقاد
حتى يتمكن من الوصول إلى ما يسعده في الدنيا والآخرة . . . وكان
كلما مر الزمن وغيّر الكهان ورجال الدين ما خلفه الأنبياء ليحكموا
سيطرتهم على الناس . . . أرسل الله نبياً آخر ليحرر الناس
مما أوعمهم به الكهان . . . حتى جاء محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة ،
وحفظها الله في قرآنه المجيد الذي لم يستطع رجال الدين أن يغيروا
شيئاً من نصوصه ، فالتفوا حيله بتأويلات وتفسيرات، وطمسوا
معالمه بمأثورات لاسند لها، وجمّدوا مبادئه بمرويات عن علماء
اجتهدوا لمواجهة متطلبات عصرهم ، ونسوا أو تناسوا أن مفهوم

صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان أنه جاء بمبادئ عامة - في كثير من تعاليمه - تستطيع كل المجتمعات أن تلتزم بها دون أن تنسلخ عن إطارها التاريخي ، ومقتضيات بيئتها المحلية .

ومن يفهم غير ذلك فإنه يجمد مبادئ الإسلام في ثلاجة التاريخ ، ويريد أن يرُدَّ الإنسان إلى العصور البدائية ، حيث كان الإنسان مسلوب الإرادة من كثرة القيود التي وضعها الكهان على عاتقه .



خامساً : تدريس الثقافة الإسلامية فى الجامعات

إن من عنصر تصحيح الخطاب الدينى فى المجتمع أن تكون صورة الدين لدى الشباب بعيدة عن الأوهام والخرافات ، ومتسقة مع متطلبات حياته ، ولا يكون ذلك إلا بتبصيره بمبادئ الإسلام الصحيحة، التى تجعله يتجاوب مع عصره، مع عدم البعد عن الدين. ومما لاشك فيه أن تدريس مادة الثقافة الإسلامية لجميع طلاب الجامعات فى العالم الإسلامى يسهم إلى حد كبير فى هذا الصدد ، بشرط أن يراعى فى وضع منهجها ما يلى :

- ١- تنمية الروح الدينية عند الطالب ، سواء أكان من جانب الاعتقاد بخالق الكون، أو من ناحية أن الدين - وخاصة الدين الإسلامى - يبحث على البحث فى الكون، واستكشاف أسرارهِ، وتسخير ما فيه صالح الحياة الإنسانية.
- ٢- تقويم السلوك ، وذلك بالنص فى المنهج على القيم والمبادئ التى تدعو الإنسان إلى التحلى بالأخلاق الحميدة ، والالتزام بكل ما يحقق للإنسان سلاماً وأمناً واطمئناناً .
- ٣- من أهم ما يحتوى عليه منهج الدراسة للثقافة الإسلامية أن يقوم على أساس القرآن الكريم ، وعلى ما أجمعت الأمة على صحته من السنة النبوية الشريفة، مبتعداً عن الخلافات المذهبية أو البيئية، أى التى ارتبطت بأحداث وقعت فى

العصور السابقة ، ولم يعد لها وجود الآن ، فالمنهج السليم لا بد أن يقوم على المبادئ الأساسية في الإسلام ، مع مراعاة مناقشة مشاكل العصر وطرح حلول دينية لها، تناسب ظروف البيئة، مع الالتزام بوضعها في إطار الممكن بالنسبة لجمهور المسلمين .

٤ - التركيز على أن اختلاف العلماء في الأحكام الدينية أمر طبيعي، ينبغي أن يتقبله المسلم بارتياح، لأن فلسفة الحياة تقوم على هذه الظاهرة ، ولأن ذلك من طبيعة الإسلام من ناحية كونه دينا عالميا لكل البشر في كل أقطار الأرض .
ومما لا شك فيه أن ظروف الحياة على هذه الكرة الأرضية متباينة ، بل ومتباعدة أحيانا ، فكان لا بد أن يكون هناك في مسائل التشريع الحياتية - والعبادية أحيانا - تنوع ، حتى تناح الفرصة ليطبق كل مجتمع ما يلائم ظروف حياته الزمانية والمكانية . فإذا فهم الطالب ذلك خفت حدة التعصب، وتوارى التطرف، وبذلك تختفى الصراعات المذهبية، ويتوارى العنف الطائفي، فيطمئن الفرد، وتنظم نغمات الحياة ، ويعم الأمن والاطمئنان في المجتمع.

٥ - ومن العناصر المهمة - إن لم يكن أهم عنصر - في مقرر الثقافة الإسلامية : الاعتراف بالآخر ، وأقصد به : احترام عقيدة الآخرين وشريعتهم، حتى ولو كانوا كفارا ووثنيين، لأن ذلك منصوص عليه في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿...لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦). فمن باب

أولى أصحاب الرسالات السماوية ، كاليهود والنصارى ، الذين سماهم القرآن الكريم : أهل الكتاب ؛ لأن من أركان الإسلام الأساسية : الاعتراف بمن أرسله الله قبل محمد ﷺ ، كما جاء في قول الله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥) . فالإيمان الصحيح ، والإسلام المقبول هو الذى يتضمن الاعتراف برسالة موسى وعيسى عليهما السلام ، فإذا استقر ذلك فى وعى الطالب نظر إلى أتباع هذين الرسولين - وإن اختلف فهمهم لما أنزل عليهما مع ما أخبر به القرآن الكريم - بأنهم بخوان له فى العقيدة ؛ إذ يجمعهم قاسم مشترك ، ألا وهو : أن رسالتهم سماوية ، فهى من المنبع الذى نزل منه القرآن الكريم ، والجميع يتوجهون بالعبادة إلى إله واحد ، وإن اختلفت تصوراتهم له ، وتباينت طرق التوجه إليه . وبذلك تسود روح الأخوة بينهم ، ويساند بعضهم بعضا فى نشر المبادئ المشتركة ، ومواجهة العدو المشترك ، ألا وهو : الماديون ملحدون ، الذين يناصرون الدين لعداء ؛ فهم ينشرون الرذيلة فى المجتمع ، ويفرسون روح العداوة والبغضاء بين الشعوب ، ليدمروا العالم ، فأولى بنا أن نبني مقرراتنا الدراسية على التسامح والود مع أبناء الأديان السماوية ، لإعداد شباب يضع يده مع أيدي شباب هذه الأديان ليواجهوا سويا هذه

القوضى العارمة التي يثها أعداء الأديان في المجتمع ، وبذلك نبي بيثة حياتنا على أساس سليم ، ونؤمن مستقبلنا بسياج يستعصى على الاختراق ، لنصد كيد من يريد للمجتمع سوءاً أو يضر له حقداً .

٦- بيان أن الإسلام ليس صلاة وصياماً فقط، وإنما هو دين يحث على العمل الدنيوي لإعمار الأرض، جنباً إلى جنب مع أداء العبادات المفروضة ، بل إنه يعتبر إعمار الأرض عبادة لله، ويفضل طلب العلم على الاعتكاف بالمساجد يقول رسول الله ﷺ: "...وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب...." ^(١)، كذلك يفضل نشر العلم على تأدية النوافل من صلاة وصيام، فقد سئل رسول الله ﷺ عن رجلين في بني إسرائيل ، أحدهما كان عالماً يصلى المكتوبة، ثم يجلس فيعلم الناس الخير ، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل ، أيهما أفضل ؟ ، قال رسول الله ﷺ : " فضل هذا العالم الذي يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على أديناكم رجلاً" ^(٢). وعليه فينبغي أن يحتوى مقرر الثقافة الإسلامية على هذا المعنى ، كي لا يستغرق الشباب في العبادة مهملًا واجبه إزاء أمته ، ذلك الواجب الذي يحتم عليه دينياً أن يبذل قصارى جهده في سبيل التنمية ، حتى

(١) أبو داود : العلم ، باب ١ ، رقم ٣٦٤١ .

(٢) الدارمي : المقدمة ، باب ٣٢ ، رقم ٣٤٩ .

تستطيع الأمة الإسلامية أن تحتل موقعا ملائما في سلم الحضارة الإنسانية ، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تحت على النظر والبحث في الكون والطبيعة والإنسان وغيره من الكائنات الحية، يجب أن يعرف الطالب هذه الآيات ويفهمها في دراسته لمقرر الثقافة الإسلامية، كي يدرك أن الإسلام دين ودنيا ، عبادة وعمل، روحانية ومادية .

٧- لا ينبغي أن يقوم منهج الثقافة الإسلامية على حفظ آيات من القرآن الكريم ، وتلقي أحاديث من السنة النبوية فقط، بل ينبغي أن يكون له من المقومات ما يساعد الطالب على فهم روح الإسلام، واستكشاف أسلوب معاملته في تقويم الإنسان، ذلك الأسلوب الذي من أهم معالمه : التيسير لا التشدد تنفيذا لأمر رسول الله ﷺ فيما روى عنه أنه قال : " يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا " (١) ، كما من أهم معالمه أن الأصل في الأحكام الإباحة، ما لم يرد نص قطعي الدلالة بتحريمه، أما ما يحتمل أكثر من وجه فروح التعاليم الإسلامية تقضى أن يأخذ المسلم من هذه الآراء ما يسهل له سبل الحياة ، ويتلاءم مع ظروفه ومتطلبات عصره فقد روى عن عائشة أنها قالت: "ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه " . (٢)

(١) البخارى : العلم ، باب ١١ ، رقم ٦٩ .

(٢) البخارى : المناقب ، باب ٢٣ ، رقم ٣٥٦٠ .

٨ - بيان أن التراث الفكرى للمسلمين لا يقبل كله ؛ لأن ذلك يوقننا فى تناقض ، لأن فيه من الآراء ما يناقض بعضه بعضا ، ولذا ينبغى أن ننقيه ، فنقبل منه ما وافق القرآن الكريم ، فإن لم يكن له مثيل فى القرآن، احتكنا إلى العقل، فنقبل ما يقره العقل، ونرفض ما يرفضه، وبذلك ننقى التراث من الخرافات والأساطير التى ليس لها أصل فى القرآن الكريم، فننقذ الشباب من الأوهام التى عطلت قدراته العقلية، ونحميه من التصورات الهلامية التى أعجزته عن اللحاق بركب الحضارة الحديثة.

٩ - غرس المبادئ والقيم الاجتماعية والإنسانية فى نفس الطالب، مثل الصدق، والأمانة، والالتزام، والشرف، وحقوق الجار، وبر الوالدين، وغيرها من الأخلاق التى تميز الهوية العربية والإسلامية عن غيرها، وكذلك العدل، والسلام، والأخوة الإنسانية، وكيفية التعامل مع الشعوب، والأعراق ، والجنسيات الأخرى .

١٠ - ينبغى أن يشتمل منهج الثقافة الدينية على تعويد الطالب على السلوك الحضارى، مثل: النظافة، والنظام ، والحفاظة على البيئة، واحترام المواعيد، وتنمية التذوق الجمالى عنده والحرص عليه ، سواء فيما يتعلق به شخصيا ، أو يرتبط بما يحيط به مما يتخذ فى شئون الحياة العامة ، كذلك الالتزام بما تعارف عليه المجتمع من تقاليد وعادات، وتجنب ما يستقبحه المجتمع، وينبذه من سلبيات. وبذلك ينسجم سلوكه مع الذوق العام، ويلتحم أسلوب حياته مع عادات أمته وتقاليدها.

ومما لاشك فيه أنه إذا روعي في وضع منهج الثقافة الدينية بطالب الجامعة ما بيناه سابقا ، فسوف نُخرِّج طالبا سويا في تفكيره، ينظر إلى ما يحيط به من تيارات فكرية نظرة فاحصة، ينتقى منها ما يعود عليه بالنفع والاطمئنان ، ويرفض ما فيه ضرر له ولأمته ، الأمر الذي لا يحتاج معه إلى وصاية فكرية، أيّا كان نوع هذه الوصاية ، فهو قد حُصِّن بالمبادئ الدينية التي تغذى الجانب الروحي عنده ، تلك المبادئ التي لا تفصله عن متطلبات عصره ؛ فهي تدعوه إلى استعمال العقل، والنظر إلى اختلاف الآراء وتعددتها بارتياح، فلا ينزعج من كثرتها، ولا يعتريه القلق من غلو بعضها ، وإهمال البعض الآخر للمبادئ والقيم ، لأنه تعلم في مدرج الدراسة أن هذا هو طبيعة الفكر الإنساني، وتلك هي فلسفة الحياة في المجتمعات الإنسانية ، فعليه - بتكوينه الفكري على منهج من هذا النوع - أن يناقش كل ما هو مطروح على الساحة بنفسه، وأن يرد بالأدلة الواضحة والحجج والبراهين الساطعة ما يراء منحرفا ، وأن يؤيد ما يراه تدعيما لهويته ، وتمكيننا لثقافته ، وترسيخا لتقاليد وعادات أمته .



لماذا الثقافة الإسلامية

إن هوية الأمة - أى أمة - تقوم على ثقافتها ، ووجودها يرتكز على دينها وعقيدتها، فكلما حافظ الأفراد على ثقافتهم، وتمسكوا بها ، وحموها من الذوبان فى الثقافات الأجنبية، برزت هويتهم ، وتميز كياناتهم بين الثقافات ، وثبتت أقدام أمتهم بين ركب الأمم ، وتسامت هاماتهم فى خضم الأمواج العالية على الساحة الدولية .

كذلك الأمر فيما يتعلق بدينها وعقيدتها ؛ فالدين أساس الوجود ، ومرتكز الحياة ، فلا توجد أمة بدون دين ، ولا يبرز كيان المجتمع إلا بالدين والعقيدة ، فهوية الأمة الإسلامية دينها، ووجودها مرتبط بالعقيدة: سلوكا، وأخلاقا، وحضارة. ولا تتحقق لها حياة كريمة إلا إذا تربي أبنائها على تعاليم الإسلام ، فدرسوا أسس العقيدة وتدريبوا على مواجهة ما يوجه إليها من افتراءات ، خاصة فى عصرنا الحاضر ، حيث تتسارع الأحداث ، وتتدفق المعلومات من كل حذب وصوب مؤثرة فى صياغة الحياة فى المجتمعات الإسلامية ، فلولم يتسلح الشباب للتعامل معها تهتز عندهم المسلمات ، ويتشابك فى ثقافتهم الغث مع السمين ، فيتسرب الشك إلى عقولهم ، لهذا كان من الواجب علينا عقديا أن تشمل مناهج التدريس فى الجامعات الإسلامية على مادة الثقافة

الإسلامية ، لكي نحمي شبابنا من التيارات الهدامة ، ونصون عقيدتهم من التلوث الفكرى - أو من العنف والتطرف - المنتشر على الساحة الفكرية فى طول الكرة الأرضية وعرضها، حتى يكونوا قادرين على المواجهة فى كل زمان ومكان.

وخير دليل على أهمية تدريس مادة : الثقافة الإسلامية فى الجامعات الإسلامية ما نراه اليوم فى المجتمع من شعور الشباب بأنهم ضائعون، لا يعرفون لهم هوية يرتكزون عليها، ولا يشعرون بكيان يجمعهم فى نسق واحد؛ فهم مشتتون بين الثقافات المختلفة، وحائرون فى دهاليز مظلمة لا يظهر لهم فيها طريق يقودهم إلى مستقبل يحقق لهم أحلامهم وآمالهم، أو يشبع رغباتهم المشروعة، فعيونهم على الحجر إلى خارج الوطن ، وآمالهم معلقة على اللحاق بالغير ، تاركين أوطانهم خالية من عقول تحميها وسواعد تبنيها ، وعزائم تصر على دفعها إلى الأمام لتتخذ مكانها بين الأوطان . فمعظم شباب اليوم لا يرى له مستقبلا فى بلده ، بل فى أماكن أخرى بعيدة عن الوطن الذى رباه ورعاه فكريا وثقافيا، فضلا عن تنميته جسمانيا وحمائته اجتماعيا ونفسيا، فهو يحيا فى وطنه غريبا ، لأنه لم يتلق من الثقافة الدينية ما يشعره بهويته، ويغرس فيه حب وطنه وأهله، ولم يتعلم من القيم والمبادئ الدينية ما يحميه من الحيرة التى أصيب بها عندما تلقى من السماوات المفتوحة تيارات ثقافية متعددة الألوان والأشكال ، تدعوه إلى التخلي عن هويته وثقافته ، وتقليد ما تعرضه عليه من أساليب الحياة وطرقها. ولكثرة هذه النماذج المعروضة عليه ، وعدم

حمايته بالثقافة الدينية ، فقد صاغ بنفسه نموذجاً لحياته لا يعرف له هوية ، ولا تنسجم عناصره في إطار محدد ، فهو خليط من النماذج والصور العالمية المتعددة الاتجاهات والفلسفات. وليته اختار منها العناصر الإيجابية التي تساعده على رقى حياته و تقدمها ، بل كان معظم ما اختاره هو من نفايات الصور الحضارية في العالم المتقدم .
لن يخرج شبابنا من حالة الضياع التي وصل إليها إلا إذا أدرك هويته عن طريق دراسة مادة الثقافة الدينية في المرحلة الجامعية ، بشرط أن يضع منهجها علماء بارزون في العلوم الدينية، ومدركون لمعطيات العصر ، وقادرون على مراعاة النقاط العشر السالفة الذكر عند وضعهم لهذا المنهج ، بالإضافة إلى إعداد كوادر التدريس إعداداً يؤهلهم لفهم طبيعة الفكر الإسلامي ، من حيث : التعددية ، والسماحة ، والاعتراف بالرأى الآخر، وحرية المسلم في اختيار ما يناسبه من الآراء ، وعدم استعمال القوة لفرض رأى معين .

فهذه هي القواعد الأساسية في دراسة الثقافة الدينية، التي تسهم في تكوين عقلية الشباب ، حتى يدرك هويته ، ويتمسك بها ، ويعرف مكان أمته بين الأمم ويعتز بها ، ويدافع عنها بل يتفانى في سبيل رقيها وتقدمها ، ويحرص في عمله على الإسهام بأقصى ما يمكنه في بناء أمته ، لتحتل المكان اللائق بها بين الأمم.



سادسا : الاهتمام بنشر الإسلام خارج الدول الإسلامية

وخاصة في العالم الغربي ، والرد على ما يثار من شبهات في وسائل إعلامه ، وذلك على النحو التالي :

- ١- إنشاء معاهد لتعليم الدعاة اللغات الأجنبية ؛ وليطلق عليها: معاهد إعداد الدعاة (ذات الانتشار الواسع ، وهي : الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والإسبانية ، والصينية ، والروسية ، ويكون طلبتها من خريجي الكليات الشرعية المتفوقين ، وبعد إتقانهم اللغة يرسلون إلى المراكز والمساجد الإسلامية ليثقفوا أبناء المسلمين في تلك البلاد ، وليشرحوا مبادئ الإسلام لغير المسلمين من سكانها .
- ٢- تعيين ملحق ديني في كل سفارة من سفارات الدول الإسلامية - ويجب أن يكون من خريجي المعاهد سألفة الذكر - ليكون مرجعا لمن يريد معرفة تعاليم الإسلام، ولتصدى لكل ما يثار ضد الإسلام وحوله في وسائل الإعلام.
- ٣ - التوسع في المنح الدراسية لأبناء المسلمين الذين يتحدثون بتلك اللغات - باعتبارها لغتهم الأصلية - لدراسة العلوم الإسلامية في الكليات الشرعية ليؤهلوا تأهيلا عاليا للقيام بالدعوة إلى الله بين أبناء جلدتهم .
- ٤ - تعاون الدول الإسلامية كلها لإنشاء قناة فضائية واحدة تتحدث باسم الإسلام باللغات المختلفة .

٥ - إنشاء صحافة إسلامية في تلك البلاد ، أو على الأقل تأجير بعض الصفحات في الصحف الكبرى لتعبر عن رأى الإسلام في القضايا المعاصرة .

٦ - تعاون الدول الإسلامية لإنشاء مركز للترجمة ، تكون مهمته ترجمة كتب مختارة إلى اللغات الأجنبية ، وترجمة كل ما ينشر عن الإسلام في اللغات الأخرى إلى اللغة العربية ، والرد على ما يثار من شبهات ضد الإسلام في هذه الكتب باللغة التي نشرت بها .

هذا هو التصور الذي يجب أن يُدرّس للنهوض بالخطاب الديني، إذا أراد المهتمون بالفكر الإسلامى خدمة الدعوة الإسلامية، بعيدا عن توجهات خارجية، أو نصائح أجنبية، أو إملاءات من أى قوة عظمى ، مهما كان موقعها ، وعلى أى وضع كانت هيمنتها وسيطرتها على مقاليد الأحداث في الكرة الأرضية .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٧	دعوى محاصرة الإرهاب
١١	تغير المبادئ
١٤	البعء عن نصوص مقدسة
١٦	اعتراف المسلمين بصحة الأديان الأخرى
١٩	تغير مناهج الدعوة
٣٣	البعء عن الخرافات والأوهام
٣٦	دعوة الإسلام إلى العلم والعمل
٤٥	المالمقصود من التطوير
٥٩	الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامى
٦٤	البعء عن الأساطير والخرافات
٦٧	تأهيل الدعاة
٧٢	الحث على العلم والاجتهاد
٨٢	تدريس الثقافة الإسلامية فى الجامعات
٨٩	لماذا الثقافة الإسلامية
٩٢	الاهتمام بنشر الإسلام خارج الدول الإسلامية